Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاروق جويدة

Bibliotheca Alexandrina
0172729

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قضايا ساخنة جداً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى

يناير ١٩٩٧

الغلاف بريشة الفنان / احمد الديب

اهداءات ٢٠٠٠

دار غريب للنشر والتوزيع

القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاروق جويدة

قضايا ساخنة .. جداً

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
(القاهرة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

المطابع ١٢ ش نوبار لاظوغلى - القاهرة ت: ٣٥٤٢٠٧٩
المكتبة { ١ ش كامل صدقى الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٢١٠٧
٣ ش كامل صدقى الفجالة - القاهرة ت: ٥٩١٧٩٥٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمة .. قصيرة جداً

لا أجد عندى شيئاً أقدم به هذا الكتاب..

إنه مجموعة معارك ضارية حاولت فيها أن أتصدى لكثير من جوانب القبح التى أصبحت تحاصرنا من كل اتجاه .. ولقد كان حلم الشاعر عندى وما زال أن أتغنى دائماً بالجمال .. وللجمال .. خاصة أن لدى إحساسا يصل لدرجة اليقين أنى أنتمى لوطن من أجمل أوطان الدنيا وأعرقها تاريخاً .. وقد شاء ت الأقدار والصدف أن أجد نفسى مضطراً لأن أحمل قلم الكاتب والشاعر معاً لكى أخوض معركة شرسة ضد القبح فى كثير من أشكاله وألوانه ورموزه .. ابتداء بتشويه هويتنا.. وطمس معالم ثقافتنا .. وانتهاء بتدمير كل رمز جميل شامخ فى تاريخنا .. ولابد أن أعترف أنها مواجهة فى غاية الشراسه ؛ لأنها معركة غير متكافئة .. فماذا يفعل القلم أمام جحافل القبح بكل وسائلها التى ينقصها عادة نبل الفرسان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه بعض فصول من المعارك التى نشرت فى مقالات بجريدة الأهرام والتى أرجو أن تحقق هدفها فى يوم من الأيام .. فإذا حققت هدفها أكون قد نجحت .. وإذا لم تحقق هدفها فسوف تضىء الطريق لكل من يحاول أن يغرس فى تراب هذا الوطن نبتة جميلة شامخة كتاريخنا العريق ..

ولن أفقد إيمانى بأن جحافل القبح التى تحاصرنا لن يبقى منها غير الرماد ، وأن مصر الوطن الجميل الآمن سوف يظل دائماً مهداً للشموخ والأصالة والجمال .

فاروق جويدة

القاهرة ، يناير ١٩٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما هى الثقافة

أصبح من الصعب الآن أن ننظر للثقافة بمفهومها البسيط الذى انحصر يوماً فى الكتاب أو اللوحة أو الرواية وقصيدة الشعر .. ولكن مفهوم الثقافة فى القرن العشرين اتسع ليشمل معظم جوانب الحياة الفكرية والروحية والاجتماعية .. وكثيراً من الجوانب المادية ...

وأصبح تعريف الثقافة فى معظم دوائر المعارف الكبرى بلغاتها المختلفة أنها أسلوب الحياة السائد فى أى مجتمع بشرى .. والثقافة هى التى تميز المجتمعات البشرية عن التجمعات الحيوانية ، ولهذا فهى تمثل عملية تنمية عامة على المستوى الفكرى والروحى والجمالى ؛ لتعكس فى النهاية حياة الشعوب .. إنها طريقة منظمة للحياة نضمن من خلالها تطوير الملكات الروحية والعقلية من خلال نسق اجتماعى ودينى وفنى ...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن خلال هذا التعريف الواسع لمفهوم الثقافة الذى ساد هذا القرن كله أصبحت الثقافة تمثل حياة المجتمع ومستوى تطوره ونموه وانطلاقه.. بل إنها فى أحيان كثيرة شملت الجوانب المادية فى حياة الناس ملبساً ومأكلاً وسلوكاً .. وفى ظل هذه المفاهيم المعاصرة للثقافة أصبح تراث الأمة جانباً مهماً من جوانب مكوناتها ، بما فى ذلك التاريخ بكل رموزه المعنوية والمادية .. وأصبح من الصعب جداً أن نفرق بين رمز معنوى يتجسد فى شخص إنسان ورمز مادى يتجسد فى بناء أو أثر أو قصر من القصور .. .

فإذا كان تاريخ الشعب مجموعة من الأحداث والشخصيات والمواقف التى تمثل ذاكرة الأمة وضميرها وماضيها الحى .. فإن التراث المعمارى للأمة يمثل ذاكرتها الحية وتاريخها الجمالى .. وهو جزء أساسى من مقوماتها الحضارية ، ومن الصعب أن نفصل الرموز التى تمثلت فى البشر عن الرموز التى انعكست فى العمارة لأنها فى النهاية جزء من الإنجاز البشرى للشعب .

ولهذا فإن أى اعتداء على قدسية التاريخ هو انتهاك لثقافة الشعب واعتداء على ذاكرته .. .

من هنا فإن ما يحدث لآثار مصر الآن سواء كانت آثاراً تاريخية قديمة أو آثاراً معمارية من العصور الحديثة، إنما يهدف إلى قطع جذورنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتواصلنا مع الماضى .. إن الآثار هى رصيدنا الحضارى فى ظل غزو بربرى يحاول اقتلاع جذور التاريخ فى العالم كله من أجل سيادة وانفراد الحضارة المعاصرة مهما كانت جوانب القبح والسطحية والتسلط فيها .

لقد كان السائد دائماً أن الحضارات تضيف لبعضها البعض على أساس أنها جميعاً بناء إنسانى متكامل .. وفى ظل أسوأ أنواع الحروب كان هناك حرص شديد على حماية التراث الحضارى للبشرية مهما كانت جوانب الخلاف بينها لأن الحضارات ملك للإنسان فى كل زمان ومكان...

ولكننا الآن نعيش زماناً غريباً يحاول أن يقتلع جذور العالم كله ليعيد صياغة البشر فى ظل مفاهيم جديدة لا علاقة لها بالتراث أو الجذور أو التواصل مع التاريخ .. ولا تعترف بمنطق الاختلاف والتميز وخصوصية التكوين الحضارى والثقافى بكل شعب .

من هنا فإن هدم قصر فى قاهرة المعز هو فى الحقيقة اقتلاع لجذورنا وامتهان لتاريخنا.. وضياع تمثال أو سرقة أثر هو محاولة لتشويه هويتنا وتغيير ملامحنا .

إن هذا الاعتداء الصارخ على تاريخ مصر رموزاً وأحداثاً وعمارة وآثاراً أكبر جناية فى حق ثقافتنا .. وماذا يبقى لمصر وللمصريين إذا تهاوت قلاع تاريخهم الذى يمثل أقدم حضارات العالم .. .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومعنى هذا أن تاريخ الأمة واحد من أهم عناصر مكوناتها الثقافية .. التى يجب حمايتها والحرص عليها ..

وحينما يتراجع مستوى اللغة وتفقد أهميتها وتأثيرها فى حياة الشعوب فإن هذا التراجع يهدف فى الأساس إلى تشويه بنائها الثقافى .

وما يحدث للغة العربية الآن فى مدارسنا وجامعاتنا وأجهزة إعلامنا جريمة فى حق ثقافتنا .. عندما تصبح درجات اللغة العربية فى أخطر شهاداتنا الدراسية وهى الثانوية العامة أقل المواد .. وعندما يخطئ فى نطقها كبار المسئولين والإعلاميين وغير الإعلاميين ، حتى بعض المثقفين .. وتصبح غريبة فى بيتها .. فإن هذا امتهان لثقافتنا واعتداء صارخ عليها .. .

وحينما يتراجع دور الفنون فى حياتنا ويصبح هدفه الإسفاف والابتذال فإننا بذلك نخسر رافداً ثقافياً من أخطر وأهم الروافد التى تغذى وجدان الأمة وتصقل مشاعرها .. .

إن انحدار الأغنية والمسرحية والفيلم خسارة ثقافية لا تقل عن هدم القصور وامتهان التاريخ وإهمال اللغة .

إنها جميعاً حلقات متصلة لا يمكن الفصل بينها .. فالأغنية الجميلة الراقية هى التى تشكل وجداناً راقياً ، وهذا ينعكس على سلوكيات الناس .. والمسرحية الساقطة التى تروج للقبح بكل سلبياته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تدمر وجدان الناس فتنحدر سلوكياتهم .. والفيلم الساقط هو الأب الشرعى للسلوك المنحرف .. .

وهذه جميعاً دوائر متصلة تكون فى النهاية هذا النسيج الثقافى الذى يشكل وجدان الأمة .. .

وأى اعتداء على هذه الروافد .. وأى تلويث لها .. هو اعتداء على ثقافتنا وامتهان لها .

وحينما تختل القيم الدينية ويساء فهم الناس للدين أمام الجهل أو الدعوات المضللة تنتشر الخزعبلات ويتراجع دور العقائد الدينية الصحيحة، وتتحول من وسيلة لبناء إنسان أفضل لتصبح وسيلة لتدمير كل شىء أمام الفهم القاصر والإدراك المريض لما تسعى إليه القيم الروحية فى حياة البشر .. وما نراه الآن من أعمال السحر والشعوذة أكبر دليل على ذلك لأن هذا أيضا خلل ثقافى فى الدرجة الأولى لأنه يرتبط بوعى الإنسان ومدى إدراكه للقيم الحقيقية التى تسعى الأديان إلى ترسيخها فى نفوس البشر.. إن الخلل الدينى الذى أصاب الشارع المصرى خلل ثقافى فى الدرجة الأولى .

ولهذا فإن البناء الثقافى لأى شعب من الشعوب يقوم على مجموعة من الأسس يشارك فيها التاريخ والتراث بكل جوانب التواصل فيها مع الماضى ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتشارك فيها اللغة بكل رصيدها الفكرى والثقافى والإبداعى ..

وتشارك فيها الفنون بكل التنوع فى عطائها وتواصلها وما تغرسه فى نفوس الناس من قيم جمالية ..

ويشارك فيه الفكر بكل حصاد العقول المستنيرة وعطائها الخلاق ..

وتشارك فيه القيم الروحية بكل جوانب الصفاء والتجرد فيها كعلاقة بين الإنسان وربه هدفها فى النهاية كبح نوازع الشر واقتلاع جذوره بين الناس من أجل الوصول إلى إنسان يدرك قيمة الحق والخير والجمال ..

وتشارك فى هذا البناء أيضاً تلك السلوكيات الرفيعة التى يكتسبها الإنسان من كل هذه الروافد ، فتنمى فيهُ جوانب التذوق والإحساس بالجمال، والقدرة على التفاعل مع الأشياء والإحساس بها فيهذب نفسه وسلوكه ووسائل تعامله مع العالم حوله .. إن هدف هذه الروافد مجتمعة سواء كانت تاريخاً أو تراثاً أو فكراً أو فناً أو ديناً أو لغة هو تحقيق نوع من التوازن بين عقل الإنسان ووجدانه .. وبين إمكاناته ورغباته .. وبين طموحاته وقدراته .. وبين ما يريد لنفسه وما يريده الآخرون لأنفسهم .. هذه الروافد هى التى تملأ عقل الإنسان ووجدانه وتنعكس على جوانب سلوكه فى الحياة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهى بكل تأكيد أهم المكونات الثقافية فى شخصية الإنسان .. .

من أجل هذا تقوم المعارك وتدور الحروب ، وليس هدفها فقط هزيمة عسكرية أو انتصاراً حربياً .. ولكنها تهدف فى الأساس إلى كسر إرادة الإنسان وتشويه قدراته وانتزاع جوانب المقاومة فيه .. وهذه جميعها تقوم وتستند على بنائه الثقافى بما فيه من دين وفن ولغة وتراث وحضارة اكتسبها عبر عصور التاريخ المختلفة .. .

لهذا كله ندافع الآن عن جذورنا الثقافية ، وهى ليست مجرد كتاب أو قصيدة شعر فقط ولكنها تراثنا الحضارى كله ابتداء بتشويه العمارة فى شوارعنا وانتهاء باقتلاع الأشجار من حدائقنا .. .

إننا ندافع عن دورنا الثقافى ، وهو بكل المقاييس دور كبير وخطير فى المنطقة ، بل إنه يعتبر أخطر أدوارنا وأكثرها قيمة وأطولها تاريخاً.. .

إننا نحاول أن ننبه إلى أن هناك من يحاول تشويه ثقافتنا سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد .. وحتى لا نقع فى فخ التفسير التآمرى لكل الأحداث فإن هناك دخاناً كثيفاً فى الأفق ، وليس معنى ذلك أن هناك من أشعل حريقاً عن قصد .. ولكن المؤكد أن هناك حريقاً يخرج منه هذا الدخان .. .

وعندما يقف الإنسان ويرصد ما يحدث للقصور والآثار والتاريخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والفنون واللغة ، والخلل الذى أصابها جميعاً ، لابد أن يتساءل : ما هى أسباب ذلك كله ؟.. ولماذا يحدث الآن .

والشئ الغريب أن هناك كلمة أضيفت إلى وزارة الثقافة منذ عامين سمعناها فقط فى التشكيل الوزارى ولم نسمعها بعد ذلك .. كان اسمها وزارة الثقافة والتنسيق الحضارى .. أى أننا ندرك قيمة هذا الجانب ليس فى حياتنا الثقافية فقط ولكن فى حياتنا العامة .. ولاشك أن ذلك كان يعكس فهما واضحاً لتراجع القيم الجمالية فى حياتنا سلوكاً وعملاً وإحساساً .

وسرعان ما سقط الجانب الجمالى من وزارة الثقافة ليقتلع الطوفان التجارى أمامه كل شىء فتهدم القصور.. وتباع الآثار .. وتنحدر الفنون.. وتتهاوى قلاع اللغة ، ويصاب العقل المصرى بأكبر نكسة فى تاريخنا الحديث .. وقبل هذا كله تفسد أذواق الناس وتتشوه سلوكياتهم.. .

من هنا فإن الدفاع عن ثقافة مصر هو دفاع عن وجودها ودورها وكيانها العريق ، وهو دفاع عن أجمل وجوهها الذى اكتسب دائماً احترام العالم وتقديره ..

ولهذا يجب أن نتصدى جميعاً للدفاع عن هويتنا وكياننا .. وحضارتنا لأن ثقافة مصر هى أغلى وأعز ما تملك .. وأمة بلا ثقافة بناء شامخ بلا بشر .. .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إعدام كوبرى أبو العـــلا ..

أخيراً استقر الرأى على إعدام كوبرى أبو العلا ، وسوف ينتقل جثمانه بعد صدور الحكم إلى مثواه الأخير فى محلات الخردة فى بولاق.. وسوف يتصدر جنازة الفقيد كل أنصار القبح فى مصر وما أكثرهم الآن ، وسوف تشارك فى الجنازة ميليشيات قطع الأشجار وقوات اغتيال الجمال وردم النهر الخالد ، وجمعيات الخوازيق الخرسانية وجميع الهيئات والمؤسسات التابعة لقطاع نشر القبح فى مصر التى كانت يوماً محروسة . . .

أخيراً سيتم عرض كوبرى أبو العلا لتجار الخردة فى مزاد علنى وعلى كل من له ذكرى مع هذا الكوبرى الجميل أن يلقى عليه نظرة وداع أخيرة قبل أن تلتهم النيران أيام عمرنا الجميل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على هذا الكوبرى ذكريات شعب كان يوماً عاشقاً للجمال .. وعليه عبرت أم كلثوم متجهة إلى فيلتها فى الزمالك قبل هدمها وهى تدندن هلت ليالى القمر.. وغنى عبد الوهاب للنهر الخالد .. وشدا عبدالحليم فى يوم فى شهر فى سنة .. وانتقل عبر هذا الكوبرى رجال مصر الكبار فى الأدب والسياسة والفنون .. .

ومنذ عام ١٩٦٩ وقصة كوبرى أبو العلا حديث الناس والصحافة..والمسئولين .. فقد ساءت صحته بعد قيام ثورة يوليو المباركة حيث لم تتم أية أعمال فى صيانته منذ عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٦٩ .. وترتب على ذلك انهيار جزء من الكوبرى نتيجة عدم تصريف المياه التى أدت إلى تآكل أجزاء كبيرة من الكوبرى .

والشىء المؤلم فى قصة اغتيال كوبرى أبو العلا أخيراً أن فرنسا طلبت أخيراً شراء الكوبرى وفكه وترحيله إلى باريس لكى يعرض فيها كواحد من آثار المهندس الفرنسى الشهير «جوستاف إيفل» الذى قام بتصميم الكوبرى ضمن أربعة أعمال هامة قام بها فى حياته ومنها برج إيفل الذى يحمل اسمه حتى الآن فى قلب العاصمة الفرنسية .

ومن حق فرنسا أن تطالب بالكوبرى من أجل ذكرى مهندسها العملاق .. وليس هذا غريباً ، فإن المسلة المصرية تأخذ مكانها فى أجمل ميادين عاصمة النور.. ولو بقيت فى مصر لكانت الآن معروضة للبيع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضمن آثار مصر المهربة .. وربما بيعت فى مزاد واحد مع كوبرى أبو العلا المسكين .

ومنذ سنوات طلبت إيطاليا شراء تمثال الخديوى إسماعيل والموجود الآن فى واحدة من أكبر «الخرابات» فى مدينة الإسكندرية .. وعندما علم الإيطاليون أن الحكومة المصرية تريد تحويل التمثال العريق إلى عملات نحاسية طلبت استرداده فقد جاء إلى مصر هدية من إيطاليا .. ورأى الإيطاليون أن من حقهم استرداد هديتهم ما دمنا لا نعرف قيمتها.

وكان من المفروض أن ينتقل تمثال إسماعيل إلى دار الأوبرا ، وحتى الآن ما زال التمثال نائماً فى إحدى خرابات مدينة الإسكندرية لأنه رمز من رموز العهد البائد.

وكوبرى أبو العلا الذى يحمل اسم أحد أولياء الله الصالحين ، وكان يعيش فى بولاق فى عام ١٨٠٩ تغير وأطلق عليه اسم كوبرى ٢٦ يوليو تيمناً بالثورة التى لم يشهد فى عهدها عملية صيانة واحدة .

وقد تكلف إنشاء الكوبرى - الذى أقامه الإنجليز-مائة ألف جنيه وحصل المهندس الفرنسى الذى قام بتصميمه على مبلغ ثلاثة آلاف جنيه وقد تم إنشاء الأجزاء الحديدية للكوبرى فى شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ، ونقلت إلى مصر وتم تركيبها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنذ عام ١٩٦٨ بدأ الحديث عن ضرورة إعدام كوبرى أبو العلا عندما أكدت لجنة من مهندسى محافظة القاهرة فى ذلك الوقت أن العمر الافتراضى للكوبرى قد انتهى .. ورغم هذا ما زال الكوبرى قائماً والسيارات تعبر عليه رغم فتوى محافظة القاهرة وحكمها الجائر بإعدام الكوبرى منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً .

ولكن أحد كبار خبراء الكبارى قال بعد ذلك أن الكوبرى يمكن أن يتحمل مرور دبابات محمولة على جرارات زنة كل منها ٧٦ طناً .. وهذا الخبير -د. شفيق عجور - هو الذى أشرف على إصلاح الكوبرى فى عام ١٩٦٩ .

ومع انتهاء المرحلة الأولى من كوبرى مايو برزت مرة أخرى فكرة إعدام كوبرى أبو العلا لاستكمال المرحلة الثانية من إنشاءات كوبرى مايو. وهنا تدخلت هيئة الآثار وصدر قرار وزارى باعتبار الكوبرى أثراً تاريخياً يجب الحفاظ عليه .. وتدخل سفير فرنسا على اعتبار أن الكوبرى يمثل قيمة تاريخية خاصة لأحد رموز فرنسا المعمارية .

ولكن الأغرب من هذا كله أن خبراء الكبارى من ألمانيا وأمريكا قاموا بمعاينة «١٤ كوبرى» فى مصر بعد زلزال أكتوبر من بينها كوبرى أبو العلا وقرروا أنها جميعاً سليمة .وعندما كان الدكتور محمود شريف محافظاً للقاهرة فكر فى تحويل الكوبرى إلى مرسم مفتوح للفنانين ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد رحب الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة بهذه الفكرة وبدأ د. أحمد نوار فى الإعداد لهذا العمل الحضارى الجميل .

وكان هناك اقتراح آخر بتحويل سور الأزبكية القديم إلى هذا المكان بحيث تتحول أسواره إلى مكتبة كبيرة لهواة المعرفة فى مصر.

كانت هناك اقتراحات كثيرة للاستفادة من كوبرى أبو العلا ، وأقلها أهمية فى أن يبقى للمشاة حيث إنه الوسيلة الوحيدة التى تربط بين بولاق والزمالك إلا إذا كانت الحكومة ستعطى سيارة لكل من يذهب إلى الزمالك أو يأتى منها ..أم أنه لم يعد هناك طريق للسائرين على أقدامهم فى هذا البلد .

لا أدرى هل امازال أمامنا وقت للطعن فى حكم الإعدام الذى أصدرته محافظة القاهرة على كوبرى أبو العلا.. أم أن الوقت أصبح متأخراً .. وهل يجوز أن تتسرب الأمور من بين أيدينا بهذه الصورة حتى تطلب فرنسا شراء الكوبرى لأننا لا نعرف قيمته .. وإذا كان ولابد من الإعدام .. هل نبيع الكوبرى لتجار الخردة فى بولاق أم نبيعه لفرنسا ليعرض بجوار برج إيفل فى قلب باريس .

وإذا كنا لا ندرك قيمته التاريخية فهل يمكن أن نعطى الفرصة لمن يدركون قيمة الأشياء .. هل نعيد لإيطاليا تمثال إسماعيل .. ونعيد إلى فرنسا كوبرى أبو العلا وفاء لذكرى واحد من أبنائها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رغم مرارة القرار أنا أفضل أن تعود الأشياء لأصحابها ما دمنا لا ندرك قيمتها .

وماذا يبقى لنا إذاً .... هذه جولة جديدة سوف يكسبها سماسرة القبح فى مصر ، وللأسف الشديد فقد كسبوا حتى الآن جولات كثيرة .. وأخشى ما أخشاه أن تنتهى المباراة لصالحهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرة وداع أخيرة ..

فى حفل وداع بسيط .. وبلا ضجيج أوصخب .. وبلا لافتات أو قصارى زرع من تلك التى تستأجرها الوزارات فى المناسبات الوطنية وغير الوطنية.. وبلا أفواج من المستقبلين والمودعين الذين تمتلئ بهم كل يوم شاشات التليفزيون قررت بينى وبين نفسى أن أقيم حفل وداع بسيطا للراحل العظيم كوبرى أبو العلا.. .

ولا أدرى ما هو السر الذى يربط بينى وبين كبارى القاهرة العريقة.. ابتداء بكوبرى عباس وتاريخه الحافل مروراً على كوبرى الجامعة.. بكل رصيد الذكريات فيه .. ثم قصر النيل .. وصولاً إلى أبو العلا.. كلها كانت تمثل عند جيلى سنوات العمر الجميل .. .

شهدت أحلام صبانا عندما جئنا من أقاصى قرى مصر إلى قاهرة المعز بكل صخبها وضجيج الناس فيها .. كانت أحلامنا يومها بعرض هذا الكون اتساعاً .. وكانت جميعاً أحلاماً بريئة وجريئة تسبح فى عالم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من المجردات .. أن نصير كتاباً .. أو شعراء .. أو أصحاب فكر وقضايا.. أن تكون لدينا مكتبة فيها أحدث ما أخرجت المطابع .. أن نرى النيل أكثر عطاء .. وأن نرى الناس أكثر رقياً .. كنا بسطاء .. وكانت الحياة بسيطة مثل أحلامنا ، قوية مثل عزائمنا.

حمل كوبرى أبو العلا كثيراً من ذكريات شبابنا .. مشينا عليه ونحن نردد «هلت ليالى القمر»..«ياللى كان يشجيك أنينى» ..« غلبت أصالح فى روحى » .. ومعه عشنا أجمل لحظات عمرنا مع صوت أم كلثوم.

وفيه غنينا النهر الخالد .. والجندول وهمسة حائرة .. وطفنا مع عبد الوهاب .

ثم كانت الليالى .. وفى يوم فى شهر فى سنة ، وصافينى مره .. ونغنى والمغنى يطول مع العندليب .. .

ومع كوبرى أبو العلا كانت الأحداث العظيمة فى حياتنا ... وكانت أيضاً الجراح العميقة .. على كل المستويات فى السياسة.. وفى الحلم .. وفى الحب .. .

مشينا عليه ونحن نردد هتافات الثورة فى أمجادها ... وبكينا عليه ونحن نداوى جراحها وجراحنا فى انكسارها.. وشاهدنا عليه وجوها كثيرة .. من أخذ بيدنا .. ومن نصب علينا.. ومن باع لنا «الترماى» رغم أننا نقف فى منتصف النهر العريق .. .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحملت مياه النهر هؤلاء جميعاً .. من أعطى .. ومن تخاذل .. ومن نهب.. ومن باع .. وبقى النيل شامخاً شاهداً على كل العصور.. .

كانت هذه الأفكار جميعها تدور فى رأسى وأنا اقترب من مايسبيرو .. ونظرت للتليفزيون .. وكدت أصرخ فى أحد العاملين فيه أن يأتى ومعه كاميرا صغيرة ليسجل اللحظات الأخيرة فى عمر كوبرى أبو العلا.

بمقياس الحضارة ... هو يستحق أن نسجل لحظاته الأخيرة ونحن شعب كان يوماً يدرك قيمة الحضارة .. .

بمقياس الذكريات .. آه من تلال الذكريات التى مرت على هذا الكوبرى خلال مائة عام .. إنها تاريخ مصر الحديث بكل الضوء فيه والظلال .. .

بمقياس الجوار .. إن المسافة بين التليفزيون وكوبرى أبو العلا قليلة جداً .. وكم شهد هذا الكوبرى مرور الفنانين والكتاب الكبار وهم فى طريقهم إلى مبنى التليفزيون حيث التألق والبريق والثقافة .

ولم أحاول أن أزعج أحداً فى التليفزيون فى هذا الوقت المتأخر من الليل ... ونظرت إلى مبنى وزارة الخارجية .. وقلت لنفسى : لو أن السيد عمرو موسى فى مكتبه الآن لطلبت منه أن يذهب معى لنودع معاً كوبرى أبو العلا فهو رجل عاشق للتاريخ .. والحضارة .. ويدرك أقدار الناس والأشياء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حينما اقتربت من الكوبرى وجدت دمعتين حائرتين فى عينى .. هناك مسطح عريض من الخشب الأبيض يلف المكان ، وتغيرت حركة المرور ولم يعد أحد يقترب من الكوبرى العريق الذى راح فى صمت مهيب ..

وكان الخشب الأبيض يغطى وجه الكوبرى وكأنه الكفن الذى يغطى جسد الميت .. واقتربت قليلاً وكل شىء فى كيانى يرتجف .

قلت للكوبرى : أعرف أنها لحظات صعبة .. ولكننى كنت حريصاً أن أودعك .. لقد عشت معك أجمل لحظات العمر أحلاماً وجمالاً وشموخاً .. وأنا حزين أن أراك هكذا يحيط بك الصمت من كل مكان .

قال : إننى حزين أن أودع هؤلاء البسطاء الذى كنت أحملهم على كتفى كل صباح يعبرون من هنا لهناك.. التلاميذ الصغار الذين كنت أحتضنهم وأحميهم من السيارات المجنونة ..

وأصحاب «البسكلتات» من حاملى الألبان وهم يسرعون بحثاً عن الرزق .. والبوابين والعمال .. لا أدرى أين يذهب هؤلاء .. إننى أقدر قرار الحكومة .. فلكل أجل كتاب .. ولكن .. ألم يكن هناك طريق آخر غير التضحية بى .. حملت على أكتافى كل مشاكل هذه العاصمة مائة عام.. وكنت أستطيع أن أتحمل مائة عام أخرى .. عندما جاء الزلزال اقترب منى قليلاً .. وصرخت فيه .. إنك لن تستطيع أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تفعل معى شيئاً .. ولم يفعل أى شىء ... حتى الزلزال الأخير نظرت إليه ساخراً وضحكت وفى خجل عبر .. .

قلت : وما الذى يحزنك الآن .. ؟

قال : ما أسمعه عن شقيقى الذى يسكن فى باريس على نهر السين، وكل الذى يلقاه هناك من الرعاية والتقدير .. عندما ولدنا معاً منذ ما يقرب من مائة عام كان شقيقى يتفاخر ويقول لى سأكون فى باريس .. وكنت أشد منه فخراً وأنا أقول له .. سأكون فى القاهرة .. أعرق عواصم الكون .. يكفى أننى سأكون بجوار الأهرامات بكل جلالها وشموخها سأعيش مثلها ولن يكفينى ألف عام .. ولم أكن يومها أعرف أننى لن أعيش بينكم طويلاً .

كانت رسائل شقيقى من باريس تؤلمنى .. كان يقول :

بالأمس زينوا جزءاً منى بالذهب .. وقرروا صرف ملايين الفرنكات لصيانتى .. وهناك مئات من الأشجار تحيط بى من كل جانب.. وفى آخر رسالة قال لى : إنهم يحترموننى كثيراً فى باريس .. وتوقفت عند كلمة الاحترام .. وبكيت ..

واقتربت من الكوبرى وأنا أحاول أن أخفف مشاعر حزنه ووجدته ينظر إلى ويقول .. لا أنكر أننى عشت زماناً جميلاً .. شاهدت عصوراً شامخة .. وحملت شخصيات مهمة فى تاريخ هذا البلد .. ولكن كيف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يفضلون علىّ كوبرى من الأسمنت «المضروب» ، هذه إهانة لا أدرى كيف رضيتها لنفسى .. الموازين اختلت فى هذا البلد .

لقد عشت زماناً جميلاً هنا ..

من أسعد اللحظات التى كنت أعيشها عندما تعود أم كلثوم من حفلتها وأسمعها منتشية تدندن بآخر أغنياتها وهى تتجه بعد منتصف الليل إلى فيلتها فى شارع أبو الفدا .

وفى أحيان كثيرة كان عبد الوهاب يترك سيارته ويتوقف معى فى هذا المكان .. ليغنى للنهر الخالد ..

وعندما غنى العندليب «يا حلو يا اسمر» شكرته لأننى اعتبرت تقديره للنيل تقديراً لى ..

ومنذ سنوات وأنا أشعر أن نهايتى اقتربت كلما سقط رمز من الرموز العظيمة فى مصر ..

ولهذا لم تكن النهاية غريبة .

شعرت بذلك عندما احترقت دار الأوبرا منذ سنوات.. وشعرت بذلك أيضاً عندما احترق قصر الجوهرة .. .

وتأكدت من ذلك عندما وجدت ملامح النيل العريق تختفى وسط غابات من الأبراج السكنية المشوهة والقبيحة ، وكنت أقول إذا كان النيل قد هان عليهم بهذه الصورة فأين أنت من النيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأدركت أن نهايتى اقتربت عندما علمت أن أكثر من ألف قصر قد تم هدمها فى القاهرة وحدها فى ثلاث سنوات .. .

كنت أعلم أن نهايتى اقتربت وأنا أسمع هذه الغربان الشيطانية التى تغنى ويسمعها الناس ... وكنت أتساءل : أين أغنيات أم كلثوم وأين روائع عبد الوهاب والسنباطى ورامى والقصبجى ومأمون الشناوى.. .

كنت أعلم أن نهايتى اقتربت ومساحات القبح تحاصرنى .. أخلاق الناس تغيرت .. وطباعهم ساءت ..

فى الأسبوع الماضى قرأت فى الصحف أن الشرطة عثرت على تمثال كبير لأبو الهول فى صندوق قمامة .. وحمدت الله أن مصيرى أفضل من مصير أبو الهول فمازلت أجلس على شاطئ النيل .

فى كل يوم تظهر فضيحة جديدة حول آثارنا.. لقد أصبحنا حديث العالم ، عصابات فى لندن والسويد وإيطاليا وسويسرا وكندا.. وجميعها تتاجر فى تاريخنا العريق .. إن اللصوص الآن ينامون فى متاحفنا .. ورفات ملوكنا يتاجر فيها المغامرون والسماسرة فى كل بلاد العالم .

وما حدث معى حدث مع الآثار وحدث مع القصور .. وحدث مع الفنون .. وحدث فى أخلاق الناس وسلوكياتهم ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قلت : وما هو الحل .. ؟

قال : المشكلة ليست فى المبانى والعمارات والكبارى لأن بناءها هو الأسهل .. ولكن المشكلة هى بناء الإنسان ضميراً وسلوكاً وأخلاقاً حينما يموت ضمير الإنسان يموت كل شىء معه ، ولكى نبدأ لابد أن نغرس فى أبنائنا من جديد قيمة الضمير لكى يحبوا وطنهم ويؤمنوا بقيمة كل ذرة تراب فيه ..

حينما هان علينا ماء النيل لوثناه ..

وحينما هانت علينا شواطئه أقمنا عليها أشباحاً خرسانية ..

وعندما هان التاريخ هانت علينا رموزه .

وحينما هان وجدان الناس استباحهم الفن الهابط .

وحينما فرطتم فى القيمة .. هدمتم القصور وشوهتم الحدائق..

ولهذا لن يكون غريباً أن تجىء نهايتى وأنا فى كامل عافيتى..

وضعت وردة صغيرة على كوبرى أبو العلا .. ونظرت إليه نظرة وداع أخيرة ... .

وبكيت ... !!! .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا القصر العتيق

لأن كل شيء هان .. ولم يعد لدينا إحساس بقيمة الأشياء .. أماكن وتاريخاً وبشراً .. جاء الدور على قصر محمد على بالمنيل .. هذا الرمز العتيق العريق الذى يضم أندر حديقة للنباتات فى مصر ، والذى كان يوماً مزاراً لأهل الفكر والفن والسياسة .. والذى تحول فى السنوات الأخيرة إلى فندق لإحدى الشركات الفرنسية .. وتحولت حدائقه الجميلة إلى أطلال تبكى على الزمن الجميل ..

هذا القصر تتنازعه الآن أكثر من جهه .. إنه حائر بين وزارة الثقافة والسياحة .. والآثار .. وربما يدخل قريباً أحد المقاولين لينهى الصراع كله ويتحول القصر الجميل إلى مجموعة من الخوازيق الخرسانية التى ملأت حياتنا كآبة وإحباطاً وتتحول قاعته الذهبية الرائعة الجمال إلى شقق للتمليك يسكنها المسئولون والمهربون وتجار المخدرات ..

وكما ضاعت قصور قديمة .. وكما شوهت معاول الهدم أجمل فيلات مصر وقصورها .. يمكن أن يلحق الدمار بهذا الأثر العريق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا توجد دولة فى العالم شهدت مذابح لقصورها التاريخية كما حدث لمصر منذ ثورة يوليو حتى الآن .. وكأن هذه القصور كانت جزءاً من العهد البائد يجب أن نتخلص منه رغم أن الاتحاد السوفيتى أبقى على كل أثر من آثار قياصرته القدامى ..

وضاعت قصورنا نحن بين النهب .. والهدم .. وناطحات السحاب وشقق التمليك ذات العشرة الملايين جنيه .

والآن نطرح قضية قصر محمد على قبل أن تلحق به يد الدمار ويصبح ذكرى من ذكريات الأمس مثل كل القصور الضائعة.. الأمر يتطلب فقط قراراً سريعاً وحكيماً بإسناد الإشراف على هذا القصر لجهة واحدة كأثر تاريخى ، وإن كنت فى الحقيقة أرى أن يضاف هذا القصر لمجموعة القصور الملكية التى تستقبل ضيوف مصر وتتبع رئاسة الجمهورية .. إن هذا هو الحل الوحيد لإنقاذ قصر محمد على من صراعات الأجهزة الحكومية المشرفة عليه .

إن القصر يحتاج إلى عمليات ترميم وإنقاذ سريعة .. وهناك اتجاه إلى إضافة أدوار جديدة إلى المبنى العتيق .. كما أن حديقته الجميلة تواجه الآن ظروفاً صعبة ..

والمطلوب الآن وقفة حاسمة حتى لا يضاف قصر محمد على إلى قصور مصر الضائعة .

انقذوا قصر محمد على من سماسرة الهدم وباعة التاريخ وأعداء القيمة فى هذا البلد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طناش ! !

تناولنا مأساة قصر محمد على بالمنيل والذى انتهى بالفعل عقد تأجيره للشركة الفرنسية .. وتساءلنا على من تقع مسئولية حماية هذا القصر وهو حائر بين الثقافة .. والسياحة .. والآثار ، حيث تمتلك كل جهة من هذه الجهات الثلاث موقعاً فى القصر العتيق ، وكنت اتصور أن يأتينا توضيح من هنا أو هناك حول هذه القضية حتى تطمئن قلوبنا إلى أن هذا الجزء العزيز من تاريخنا لن تلحق به يد الدمار كما لحقت بأشياء كثيرة فى حياتنا .

ويبدو أن معظم المسئولين فى الدولة قد لجأوا إلى أسلوب «التطنيش» عملاً بالحكمة التى تقول «دعهم يكتبون .. ونحن نفعل مالا يريدون» ولاشك أن الكتابة فى هذا المناخ .. وفى مثل هذه الظروف تعتبر ضياعاً للوقت والجهد و العمر .. وأيضاً التأثير ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإذا كانت الكتابات مجرد حبر على ورق .. أو كلام فى الهواء فالأكرم والأفضل أن نطوى الأقلام ونلوذ بالصمت .. وربما كان هذا ما يريده المسئولون منا ..

ولاشك أن «الطناش» وأعتذر لاستخدام الكلمة ولكنها أقرب الكلمات التى يمكن أن تعبر عن هذا المناخ .. هذا الطناش يترك أثراً سيئاً على مستويات كثيرة ..

أنه يفقد الكلمة احترامها وتأثيرها أمام الناس .. خاصة إذا كانت تتناول موضوعاً هاماً وخطيراً .

إن الاعتياد على الطناش يفقدنا القدرة على إدراك آثار الأشياء وردود أفعالها .. ومن الخطأ أن نتصور أننا فقط أصحاب الفعل ، وأن على الآخرين قبول هذا الفعل فى كل الحالات سواء كان خطأ أم صواباً.

إن هذا الطناش لم يقتصر على مأساة قصر محمد على ، ولكن هناك حالات صارخة لا تقل خطورة عن القصر ومنها إنشاء الطريق الدائرى حول الهرم وتحذير اليونسكو من خطورة ذلك على الأثر التاريخى .. ومنها أيضاً ما حدث للآثار والمقابر فى صعيد مصر بعد السيول الأخيرة .. ولقد سبق ذلك كله تحذيرات بضرورة حماية هذه المناطق .. ولكن أسلوب « الطناش » كان هو الرد الدائم والإجابة على كل صاحب قلم يحاول أن يقترب من الحقيقة .. أو يبحث عنها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والشيء المؤكد أن قصر محمد على فى المنيل يواجه الآن فصلاً جديداً فى حكايته لا ندرى ما هى أهدافه.. وحدوده .. ولقد ترك ذلك مجالاً واسعاً للارتياب والشك والتساؤل .

هل ستقوم الدولة بالفعل ببناء طابقين عليه .. وهنا يكون السؤال : وما هو الهدف من ذلك .؟ إن ذلك يعنى ببساطة أن القصر يواجه عملية تصفية وهدم ولكن بأسلوب حضارى .. فقد حاولنا أن نقيم به بعض التوسعات ببناء طابقين .. ولكنه لم يتحمل وتهاوت جدرانه ، وهذا قضاء الله وقدره .. وهنا يجب أن يهدم القصر .. ويباع ..

هل هناك اتجاه إلى إدخال القصر فى صفقات الخصخصة على أساس أن به فندقاً صغيراً وأن مجموعة كبيرة من الفنادق معروضة للبيع الآن وهو واحد منها .

أم أن هناك اتجاهاً إلى استغلال مساحة القصر الشاسعة وتبلغ ١٧ فداناً أى ما يزيد على ٧٠ ألف متر مكعب فى إنشاء عدد من الأبراج السكنية التى تساهم فى اتساع مساحات القبح فى حياتنا .

أم أن هناك رغبة صادقة فى حماية هذا القصر بإسناد الإشراف عليه إلى جهة واحدة كموقع أثرى .. أو مكان سياحى .. بحيث تتوافر له الحماية اللازمة .

وما زال لدينا أمل أن نجد رداً من مسئول كبيرا كان أم صغيراً ليقول لنا : ما هو مستقبل قصر محمد على ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نصدق من .. الوزير المسئول
أم الشركة التى تبيع القصر

فى الأسبوع الماضى أرسل لنا الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة رداً حول موقف قصر محمد على ، وأكد الرجل فى رده أن الدكتور عاطف عبيد الوزير المسئول عن قطاع الأعمال أصدر تعليمات مشددة بألا تتم أية إنشاءات جديدة فى حديقة القصر.. وتصورنا أن القضية قد حسمت وانتهى الموضوع بهذا القرار الجاد الحكيم .. وشكرنا الوزيرين باسم الملايين من عشاق القيمة فى هذا البلد على هذا الموقف الحاسم .

ولكن حدث تطور آخر ..

أرسلت لنا شركة إيجوث رداً جديداً أكدت فيه أنها ستطرح مناقصة عالمية لإنشاء فندق جديد على نفس المساحة التى يشغلها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفندق الحالى وهى عشرة أفدنة من إجمالى مساحة القصر ، والتى تبلغ ١٧ فداناً .. وقال رئيس الشركة فى رده الذى ننشره اليوم أن شركته تملك هذه الأرض بعقود مسجلة ..

ومن خلال رد الشركة يتضح أن النية مبيتة وأن مخاوفنا فى محلها .. وأن قصر محمد على سوف يشهد مجزرة جديدة رغم تأكيدات وزيرى السياحة وقطاع الأعمال بأن ذلك لن يحدث وأن الأمر كله يجرى فى سرية تامة .... وفى رد رئيس الشركة نقاط كثيرة تدعو للتساؤل..

- إن رئيس الشركة يقول أن هناك سوراً بين ما تملكه شركته فى القصر على حد زعمه وبين مناطق أخرى تتبع وزارة الثقافة وهيئة الآثار .. وهذا السور عبارة عن سلك شائك يحدد فقط معالم الجريمة التى تمت منذ ثلاثين عاماً ضمن مؤامرات القبح والتسيب التى أصابت حياتنا .

- إن رئيس الشركة يقول فى رده أن شركته تملك هذه المساحة بعقود مسجلة .. ولا أدرى من أين جاءت الشركة بهذه العقود إذا كان صاحب القصر نفسه الأمير محمد على قد سجله كمتحف إسلامى منذ سبعين عاماً ، وترك له من الأوقاف ما يكفى للإنفاق عليه .. إن الشركة لا تملك على الإطلاق أى حق فى حديقة هذا القصر ، ولكنها وضعت يدها عليها ضمن إجراءات تعسفية كثيرة حصل فيها كبار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسئولين على القصور والفيلات والشقق بقرارات لقيطة لا سند يحميها من عرف أو قانون .

- يتحدث السيد رئيس الشركة عن الموظفين الذين ستتكفل بهم الشركة التى ترسو عليها المناقصة لإنشاء الفندق الجديد ، وأنا أعلم أن عددهم جميعاً ١٥٠ موظفاً يمكن أن تستوعبهم أى جهة ضمن آلاف بل ملايين الموظفين الذين لا يعملون فى الدولة ، فهم لا يمثلون مشكلة على الإطلاق .

- كيف تعطى الشركة نفسها الحق فى اقتطاع عشرة أفدنة من القصر أى حوالى ٤٠ ألف متر مربع من المساحات الخضراء التى تحتوى على أندر الأشجار والنباتات .. وكيف يقام فندق وسط متحف تاريخى بهذه القيمة وهذا الموقع ، خاصة أن الأكشاك الخشبية الموجودة حالياً غاية فى القبح وأهانت كل شىء فى حديقة القصر .

- إذا كانت الدولة قد أخطأت حينما استباحت عشرة أفدنة من قصر عريق سجله صاحبه كمتحف إسلامى نادر .. فهل يعنى ذلك استمرار الخطأ .. وهل يمكن أن نستبدل الأكشاك الخشبية القبيحة التى أطاحت بجلال القصر وجماله بكتل أسمنتية أخرى تزيد المكان قبحاً وتقطع مابقى فى الحديقة من الأشجار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

– إن معنى البناء فى حديقة القصر المتشابكة الأشجار أن تدخل آلات ومعدات ومواد بناء وعمال ومنشات وأدوات للحفر وأخرى لقطع رقاب الأشجار .. وسوف تجد الشركة أمامها فرصة نادرة لتسوية عشرة أفدنة يمكن أن تباع بسعر مغر فى مثل الموقع الفريد ..

– إن الشركة تفكر بمنطق الربح والخسارة فأمامها قطعة أرض ذهبية .. وموقع رائع .. وصفقة بملايين الدولارات .. ولا يعنها من قريب أو بعيد أنها تغتال التاريخ وتقطع رقاب متحف عريق .. إن الشركة تفكر بمنطق السماسرة وتجار الشنطة والمهربين ؛ ولهذا لا يعنيها شىء فى قصر محمد على غير أنه قطعة أرض ومجموعة خوازيق خرسانية .. وحقيبة من الدولارات ، وليذهب محد على وقصره وتاريخه والبلد الذى عاش فيه إلى الجحيم .

وأقول ...

إن هذه المأساة يجب أن تكون لها نهاية .. لأن هذا الذى يحدث أمام أعيننا سوف يصيبنا بأسوأ أنواع الجنون ، أن نعرض وطناً عريقاً فى حجم مصر لأعمال التجارة السمسرة وأن نفرط فى كل ما نملك أمام بضعة دولارات دون وعى بقيمة ما نبيع ..

ولا أدرى من أصدق فى هذا الموضوع ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل أصدق ما قاله د. ممدوح البلتاجى ود. عاطف عبيد .. أم ما يقوله المسئول عن الشركة والذى أعلن بالفعل عن مناقصة عالمية لإنشاء فندق جديد فى قصر محمد على .

الأرجح عندى أن كلام رئيس الشركة هو الذى تدور حوله الجريمة الآن .. وأن الرجل واضح فى فكره وموقفه وأن شركته تفكر بمنطق الزمن الذى نعيش فيه .. وهو أن كل شىء قابل للبيع .. وأخشى ما أخشاه أن نجد أنفسنا معروضين للبيع فى مزادات بشرية بعد أن ينتهى بيع كل شىء ، ولن يشترينا أحد .

إننى لا أدافع عن قصر محمد على كقطعة أرض نادرة ... ولكننى أدافع عن شىء من القيمة بقى بيننا . وأدافع عن تاريخ عريق يحسدنا العالم كله عليه ونحن لا ندرك قدره .. وأدافع عن زمن جميل مازال ساكناً فى أعماقنا تعلمنا منه الإحساس بالجمال والأشياء والبشر.. وأتمنى أن نترك لأبنائنا المساكين شيئاً قليلاً منه.. وهذا القصر بعض مابقى من هذا الزمن الجميل .

إننا لن نسكت أبداً عن هذه المجزرة التى يتعرض لها قصر محمد على ، ولن نسمح للشركة أن تبيع تاريخنا للمرة الثانية من أجل حفنة دولارات يعلم الله وحده أين تذهب .. ولن نترك سماسرة العالم يعبثون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى تاريخنا ويستبيحون أجمل ذكريات عمرنا .. إننا لا ندافع الآن عن قصر محمد على الأرض والمكان ولكننا ندافع عن مصر الرمز والتاريخ والقيمة .. وإذا خسرنا المعركة فإن ذلك يعنى أن وجودنا تساوى مع عدم وجودنا .

سوف نقف للشركة بالمرصاد حتى لو اضطرتنا الظروف إلى الذهاب إلى حديقة القصر العتيق بحيث لن نترك شبراً فيها لكى يتسلل إليه مغامر أو سمسار لا يعنيه غير حفنة دولارات ومجموعة خوازيق خرسانية .

إن سماسرة العالم يشترون الآن أغلى ما عندنا ..

إننى أتوجه إلى المثقفين والفنانين والكتاب وعلماء البيئة والزراعة والنباتات ، وأتوجه إلى أعضاء مجلس الشعب .. وإلى نقابة المحامين وإلى كل عشاق الأصالة والتاريخ فى مصر أن يقفوا ضد هذا الطوفان الذى يبيع كل شىء .

إن قضية قصر محمد على هى قضية القيمة فى مصر ... ولم يعد أمامنا غير أن ندافع عن آخر رموزها ..

الحقيقة أننى لا أدافع عن حديقة قصر ولكننى أدافع عن مصر...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد التزم د. البلتاجى ود. عبيد من خلال مسئوليتهما فى الحكومة بعدم المساس بهذا القصر ، وعليهما الآن أن يؤكدا للناس جدية هذا الالتزام أمام شركة تصر على بيع القصر فى مناقصة عالمية وهى لا تملك الحق فى ذلك ...

ليس كل شىء فى مصر للبيع ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحقائق الكاملة
حول اغتيال قصر محمد على

أريد أن أضع أمام الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء مجموعة من الحقائق الهامة حول قضية قصر محمد على بالمنيل حتى يحسم الخلاف القائم حالياً بين أكثر من جهة حول أحقيتها فى حديقة القصر.. وخاصة أن الإعلان عن بيع هذه الحديقة فى مناقصة عالمية لإقامة فندق جديد سيكون سابقة خطيرة لا تتناسب أبداً مع احترامنا لتاريخنا وتقديرنا لتراثنا الحضارى والإنسانى .

هذه الحقائق تتلخص فى الآتى :

- إن قصر محمد على كما جاء فى وصية صاحبه الأمير محمد على يعتبر متحفاً إسلامياً ، وهذه الوصية كتبها صاحبها فى عام ١٩٢٥ وكل ذلك مسجل على لوحة تذكارية فى مدخل القصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- إن شركة إيجوث التى تطالب بملكية مزعومة فى حديقة القصر حصلت على هذا الحق بقرار وزارى أصدره السيد على صبرى عندما كان رئيساً للوزراء فى عام ١٩٦٥ وكان القرار خدمة شخصية لأحد أقاربه ، وكان يرأس مصلحة السياحة فى ذلك الوقت .

ومنذ هذا التاريخ قامت قطاعات السياحة المختلفة بالاستيلاء على الحديقة والقاعة الذهبية ومداخل القصر الرئيسية .

- قامت مصلحة السياحة بعد ذلك بتأجير الحديقة للشركة الفرنسية التى أقامت عليها مجموعة من الأكشاك الخشبية القبيحة ، وشهدت الحديقة أكبر مجزرة لقطع رقاب الأشجار وتم هدم البورجلات وبحيرة للبجع وأقامت الشركة مكانها حمام سباحة وملاعب للتنس وترتب على ذلك كله تشويه الحديقة ونهب أشياء كثيرة نادرة من القصر.

- فى عام ١٩٧٨ استطاع الراحل الكبير عبد المنعم الصاوى إعادة القاعة الذهبية إلى وزارة الثقافة بعد أن أصبح وزيراً لها بعد أن تأكد أمامه أن الشركة الفرنسية شوهت هذه القاعة النادرة بحفلاتها الصاخبة ، وهى القاعة التى تتناثر عليها الآيات القرآنية المكتوبة بماء الذهب وبردة البوصيرى وهى تحفة معمارية غاية فى الإعجاز والتفرد .

- إن القصر كان دائماً غنيمة من الغنائم السهلة مع القصور الملكية الأخرى ، فقد طلبت وزارة التربية والتعليم يوماً تحويله إلى ناد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رياضى للطلبة .. كما حاولت أجهزة السياحة إنشاء مطاعم وكازينوهات فى حديقة القصر .. حتى تم حسم الأمر لصالح الشركة الفرنسية التى أحتلته تماماً لمدة خمسة وعشرين عاماً ، وانتهى عقد تأجير القصر فى الشهر الماضى فقط .

– فى شهر يناير ١٩٨٤أصدر الدكتور فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء فى ذلك الوقت قراراً باعتبار قصر محمد على بالكامل بما فيه الحديقة « منافع عامة أثرية » ، ويشمل ذلك كله ملحقات القصر وحدائقه والحرم الذى يفصل القصر عن النيل .

وكان من المفروض بعد صدور هذا القرار إزالة الأكشاك الخشبية القبيحة التى أنشأتها الشركة الفرنسية فى قلب القصر ، ولكن حرصاً على العلاقات مع فرنسا رأت الحكومة إكمال عقد تأجير الحديقة للشركة الفرنسية حتى تنتهى مدته .

وبناء على قرار رئيس الوزراء الأسبق الدكتور فؤاد محيى الدين فإن القصر بكل مشتملاته يخضع حالياً لقانون الآثار رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣ ، ولا يجوز على الإطلاق إقامة إنشاءات جديدة فيه بل يجب تحويله بالكامل إلى متحف إسلامى نادر .

– إن القصر تعرض فى فترات مختلفة لعمليات نهب دائمة ، واختفت منه اللوحات والسجاجيد والسيوف الذهبية التى لا تقدر بثمن .. وينبغى أن نحافظ على ما بقى فيه من التحف النادرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- إنه لا يعقل أبداً أن يكون من بين برنامج الخصخصة فى مصر أن نبيع المتاحف والآثار ، ولا أعتقد أبداً أن ذلك يدخل فى سياسة حكومة د.عاطف صدقى ، وقصر محمد على أثر تاريخى بالعرف والقانون والواقع الفعلى للقصر . وأن شركة إيجوث لا تملك فى القصر شبراً واحداً وليس لديها أية مستندات قانونية أو غير قانونية حتى يكون لها الحق فى بيعه ، والأمر كله لا يتجاوز قراراً لقيطاً أساء لنا شعباً وحكومة حينما أعطى لشركة أجنبية الحق فى احتلال حديقة متحف لتقيم عليها مجموعة أكشاك خشبية قبيحة ، والدليل على هذا الخطأ الفادح أن وزارة الثقافة استردت القاعة الذهبية من شركة إيجوث بقرار وزارى منذ ١٦ عاماً ..

والمطلوب الآن أن يحسم رئيس الوزراء الخلاف القائم حول حديقة القصر ، وأن يضع حداً لمحاولات بيع هذه الحديقة لأن هذا الإجراء سيكون سبة فى تاريخ كل ما هو أصيل فى هذا البلد .

لقد أكد لى الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة أنه أرسل مذكرة واضحة التفاصيل حول هذا الموضوع إلى الدكتور عاطف عبيد الوزير المسئول عن قطاع الأعمال والذى تتبعه شركة إيجوث التى تحاول الآن بيع حديقة القصر فى مناقصة عالمية وهى لا تملك شيئاً فيه .

والدكتور عاطف عبيد قبل أن يكون وزيراً لقطاع الأعمال هو وزير مسئول عن حماية البيئة وهو لن يقبل أبداً الإطاحة بحديقة نادرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثل حديقة قصر محمد على مساحتها عشرة أفدنة من أجل مجموعة من الغرف فى فندق جديد .

وعاطف عبيد كمصرى وطنى أولاً وكمسئول ثانياً لن يقبل أبداً أن يتم مثل هذا السلوك غير الحضارى فى عهده. فمهما كانت الملايين التى ستدخل خزانة مصر من بيع الحديقة فإن هذه الحديقة أهم بكثير من هذه الملايين ، وسمعة مصر أهم من كل شىء .

وفى جانب آخر أكد لى الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة أن السياحة لا تعنيها أبداً زيادة مجموعة من الغرف ستقام فى حديقة القصر فى شكل فندق جديد ، ولكن يعنيها قبل أى شىء أن تحافظ على مثل هذا الأثر التاريخى النادر ، وأنه شخصياً لا يقبل تحت أى ظرف من الظروف أن تباع حديقة قصر محمد على مهما كان الثمن الذى سيدفع فيها .

أما شركة إيجوث وهى بحكم تاريخها متخصصة فى مثل هذه الكوارث السوداء فهى التى باعت قصر لطف الله فى الزمالك الذى أقيم عليه فندق الماريوت .. هذه الشركة يجب أن تأخذ أكشاكها من حديقة القصر وترحل ، وأرجو أن يتم بيعها قريباً ضمن برامج الخصخصة حتى تشرب من نفس الكأس لأنها فى الحقيقة هى الأولى والأحق بالبيع . وأتمنى أن يحسم الدكتور عاطف صدقى قضية قصر محمد على بقرار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعيد القصر كاملاً كمتحف أثرى إسلامى رائع ومزار دائم لعشاق التراث. وأن يصدر قرار إزالة لكل مخلفات الشركة الفرنسية التى انتهى عقد تأجيرها للقصر وأن ينهى رئيس الوزراء هذه القضية لصالح التراث والتاريخ والقيمة .

إن ملايين الجنيهات لا تساوى سمعة مصر ، وحتى لا يقال يوماً أننا فرطنا فى أجمل ما عندنا من تاريخ عريق مقابل حفنة دولارات هزيلة .. وما زلت أقول .. ليس كل شىء فى مصر قابل للبيـــــــع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمة .. أرجو أن تكون الأخيرة

تستطيع مصر أن تبنى كل شهر فندقاً جديداً .. وبرجاً جديداً ، ولكنها لا تستطيع أن تغرس بين ربوعها شجرة فاطمية عريقة النسب عمرها خمسمائة عام تقف الآن بكل الشموخ فى قصر محمد على بالمنيل شاهدة بعراقة الأرض التى خرجت منها والوطن الذى احتواها وحماها وقدرها .

لقد كان عندى ما يشبه اليقين بأن قضية قصر محمد على سوف تحسم لصالح القيمة .. وليس لصالح المال .. فنحن أصحاب دور ورسالة قبل أن نكون ورثة مال أو سلطان .. ونحن أول من علم الدنيا الحرف .. والدين والفنون .. هذه المحاور الثلاثة التى قام عليها تقدم الإنسان عبر عصور التاريخ المختلفة .

ونحن شعب يشبه أشجار النخيل .. قد تعصف به الرياح يميناً وشمالاً ولكن جذورنا بقيت شاهد عدل على أننا ما زلنا نقدر القيمة ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأصالة .. والتراث .. رغم كل محاولات تشويه هويتنا واقتلاع جذورنا .

وقد تأكد ذلك كله فى رسالة بعث بها الدكتور عاطف عبيد وزير قطاع الأعمال والتنمية الإدارية والبيئة بأنه أصدر قراراً بوقف أى محاولات لبيع حديقة القصر ، وأنه قرر منع أية إنشاءات أيا كان نوعها وأن أساتذة كلية الزراعة وخبراء الزراعة سوف يتولون مسئولية صيانة الحديقة ورعايتها .

ونحن ننشر اليوم خطاب د. عاطف عبيد شاكرين له هذا الموقف باسم الملايين من حماة التراث فى مصر .

وفى نفس الوقت تلقينا خطاباً رقيقاً من الأمير عباس حلمى محمد عبد المنعم ابن شقيق الأمير محمد على صاحب قصر المنيل يشكر فيه الأهرام باسم الأسرة على تبنى قضية قصر محمد على .

وأرفق الأمير مع رسالته النص الكامل لوصية عمه الأمير محمد على والمسجلة بمحكمة مصر الشرعية بتاريخ ٢٤ إبريل عام ١٩٤٥ والمسجلة تحت رقم ١٥٨٣٤/ ٨٠ بسجلات وزارة الأوقاف . وتنص الوصية على أن القصر كاملاً أصبح وقفاً شرعياً تنتفع به الأمة المصرية كمتحف من متاحف الحكومة المصرية . ونصت الوصية على تخصيص وقف من الأطيان الزراعية مساحتها ٢٠١٣ فداناً فى مناطق شباس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمير وقزمان بدسوق ونشرت وقلين فى كفر الشيخ . وأوصى الأمير بأن يفتح القصر بكل ما فيه للزوار من أبناء الشعب المصرى والأجانب وعشاق الفنون الإسلامية فى العالم ، وأن يتم الإنفاق على القصر من إيرادات الأطيان الزراعية التى خصصها الأمير لذلك ، وأن يعين حاكم البلاد مشرفاً على هذا المتحف يتولى مسئولية الإنفاق عليه من موارد الوقف .

ولا أدرى فى يد من وقعت هذه الأطيان ومن يستغلها الآن ، وهى التى تزيد قيمتها حالياً على مبلغ ٦٠ مليون جنيه .

ونحن ننشر اليوم أيضاً هذه الوصية التى تؤكد أن القصر مسجل كمتحف إسلامى منذ خمسين عاماً وقبل قيام ثورة يوليو بسبع سنوات ولعل هذه الوصية تسكت كل من يدعى بالباطل أن له حقاً فى القصر .

وإن كنا نتساءل عن مصير هذا الوقف ومن الذى سطا عليه فى زمان الغفلة .

إن دفاعنا عن قصر محمد على ليس دفاعاً عن قطعة أرض أو مجموعة من الأشجار النادرة .. ولكنه دفاع عن دور ورسالة ومسئولية .. إن هناك أطرافاً كثيرة تتربص بدور مصر الآن ... هذا الدور الحضارى الأصيل الذى أعطاها القيمة والمهابة والجلال .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والواجب والمسئولية يحتمان علينا أن نكون على وعى كامل بكل ما يدور حولنا ، فهناك أطراف كثيرة تحاول أن تسلب مصر دورها العريق .. منهم الأشقاء .. ومنهم الأصدقاء ومنهم «الأعدقاء» وربما كان منهم أيضاً بعض الأبناء .

المهم .. أن نتابع بوعى كل فصول الرواية فقد تطول بعض الوقت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هدم تاريخ أم تشويه أمة

لا أدرى ما هو السر فى هذا الموقف العدائى الغريب الذى نتخذه الآن ضد تاريخنا أحداثاً وأشخاصاً وتراثاً ورموزاً .

ما هو السر فى تلك المحاولات المستميتة التى تهدف إلى تغييب وعينا وإهدار تراثنا وتشويه كل معالم الأصالة فى أعماقنا .

ما هو السر الذى يجعلنا نغير مناهج تاريخنا .. ونجعل من التاريخ مادة اختيارية فى مدارسنا .. ونقيم الاحتفالات فى ذكرى غزو أراضينا واحتلال أوطاننا .

ما هو السر فى هذه الهجمة الشرسة على كل ما هو أصيل وعريق وشامخ فى هذا الوطن .

هل هى أيدٍ خفية ؟ هل هى تحركات مقصودة ؟ هل هو عدم وعى .. هل هو إصرار علىَ التخريب .. تساؤلات كثيرة يحاول الإنسان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن يجد إجابة عليها أمام أحداث متتالية قد تختلف فى ظواهرها ، ولكنها تتفق فى شىء واحد .. أننا أصبحنا وطناً يعادى تاريخه .. وهذه هى قمة المأساة التى يمكن أن يواجهها شعب فى هذا العالم .

تحت يد وزارة التعليم مجموعة من القطع الأثرية النادرة .. وبقرار غير حكيم فى بداية ثورتنا المباركة تحول أكثر من ألف قصر تاريخى تنتشر فى ربوع مصر إلى مدارس .

حتى وإن كانت النية طيبة والقصد نبيلاً فإن ما حدث لهذه القصور كان أكبر جريمة فى حق تاريخنا المعمارى .

ورغم الظروف الصعبة التى واجهتها هذه القصور والفيلات فإن الكثير منها صمد أمام متغيرات الزمن .. والإهمال .. والتلاميذ الصغار.. والمجارى .. والمياه الجوفية .. والتلوث .. والأكثر من هذا أن الكثير من هذه القصور تحمل بقوة قسوة الزلازل واستطاع أن يصمد وأن يقاوم وأن يثبت للجميع أصالة العمارة المصرية فى زمن ازدهارها ، وقبل أن يعبث بها الإهمال والتخريب والتسيب .

وكان من الممكن أن تبقى هذه المدارس دوراً للعلم .. ودرساً فى التاريخ تتعلم منه الأجيال الجديدة قيمة المحافظة على التراث وكيف يصون الأبناء تاريخ آبائهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كـان من الممكن أن تظل هذه المدارس قطعـاً أثرية نعـتـز بهـا ونحافظ عليهـا .. فيرى الأبناء فيهـا تاريخ وطنهم بكل مظاهر العراقة والأصالة فيها .. ولكن الإهمال بدد كل الأحلام .. وتحولت هذه القصور الجميلة إلى كتل خرسانية مشوهة وسقط ما سقط .. وبقى البعض الآخر ينعى حظه فى زماننا الردىء .

وأخيراً ومع مناخ «الخصخصة» قررت وزارة التعليم أن تتخلص من التاريخ مناهج وقصوراً ورموزاً .

حولت التاريخ إلى مادة اختيارية فى أهم الشهادات التعليمية عندنا .. وقدمت القصور التاريخية للمقاولين وتجار الخردة وبدأت فى هدمها لإنشاء مدارس جديدة عليها .

والغريب أن الزلازل عجزت عن أن تهدم القصور القديمة ونجحت فى أن تهدم المدارس الحديثة ، وكلنا يعلم هذه المأساة . وبدأ مسلسل هدم المدارس التى كانت تمثل القصور والفيلات العريقة .

وتوارت تحت معاول الهدم الآثار الجميلة .. والأخشاب العريقة .. والفنون التى لا تقدر بثمن .

وإذا كان موقف وزارة التعليم غريباً .. فإن الأغرب منه أن كل ذلك تم أمام هيئة الآثار وعلى مسمع منها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخلال شهور قليلة تم هدم ٤٠ قصراً ، منها قصر النزهة .. فى شبرا .. وقصر حنيفة السلحدار .. وتماثيل المرمر فى مدرسة روض الفرج.. والرسوم الإسلامية العريقة فى مدرسة الأشراف التى بناها الخديو إسماعيل .. وهذه القصور جميعها يزيد عمرها على مائة عام ، وهى آثار تاريخية بكل المقاييس المعمارية والحضارية والزمنية .

لقد كانت جريمة ثورة يوليو أنها حولت القصور التاريخية إلى رياض للأطفال ، رغم كل تقديرنا لمجانية التعليم .. وكانت جريمتنا كشعب أننا تركنا أيدى العبث والإهمال تعبث بكل هذا التاريخ ، ابتداء بهدم الفيلات لإقامة العمارات السكنية المشوهة ، وانتهاء بالقضاء على أهم ثروة معمارية يملكها شعب فى العالم كله .

ثم ها هى جريمة أخرى تحدث أمام أعيننا ، حيث بدأت معاول الهدم تقضى على آخر ما تبقى من القصور الجميلة التى تهاوت أمام الإهمال والإصرار على تدمير كل شىء جميل فى حياتنا .. وما زالت بلدوزرات هيئة الأبنية التعليمية تقوم بمهمتها على أكمل وجه فى هدم آخر ما تبقى لدينا من القصور والفيلات التاريخية العريقة .

وعلى هذه الصفحة نعرض اليوم أركان هذه الجريمة مطالبين بوقفها ومحاسبة المسئولين عنها أيا كانت مواقعهم فليس هناك وطن يعادى تاريخه كما يحدث فى مصر الآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوقفوا مذابح القصور ..

لم نتجاوز الحقيقة حينما أكدنا أن عدداً كبيراً من القصور هُدم فى الفترة الأخيرة ، ولا نغالط إذا قلنا أن عدداً آخر من القصور التاريخية ينتظر حالياً نفس المصير .. ويستحيل أن نكون ضد بناء مدارس جديدة .. فهى طاقات للعلم والثقافة ولكن من الخطأ أن يقام الجديد على أنقاض التاريخ .

فى الأسبوع الماضى تناولنا جريمة بشعة ، قامت بها هيئة الأبنية التعليمية ، حينما هدمت مجموعة نادرة من القصور التاريخية لتقيم عليها مدارس جديدة ، رغم أن فى القاهرة مليون خرابة يمكن أن تقام عليها المدارس من أجل أن تبقى القصور .

وأصدر الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم بياناً أكد فيه حرصه الشديد كوزير ومسئول ومواطن على حماية آثار مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مشهد جنائزى مؤثر قامت هيئة الآثار ، بتصوير القصور قبل هدمها للاحتفاظ بها كذكرى ..

وأعلنت محافظة القاهرة على لسان محافظها السيد عمر عبدالآخر رفضها الشديد لهدم القصور التاريخية ..

الجميع أدان .. والجميع شجب .. ولكن هناك جريمة وقعت .. وقصور تهدم .. وتاريخاً عزيزاً توارى بين أيدينا وأصبح أنقاضاً .

وأمامى وأنا أكتب هذه السطور قائمة طويلة بالقصور التى تم هدمها بالفعل .. وقائمة أخرى .. بقصور تنتظر الهدم خلال الأيام القادمة ..

فإذا كان وزير التعليم ومحافظ القاهرة ووزير الثقافة وهيئة الآثار يدينون هذه الجريمة .. فأين كانوا من كل ما جرى ؟ .

أين الأشخاص الذين أصدروا قرارات الهدم والإزالة .. وأين الأشخاص الذين تفاوضوا مع المقاولين .. ونظموا العطاءات والمناقصات.. وقبضوا الثمن ؟ ..

وأين الأشخاص الذين أشرفوا على عمليات الهدم ، وتمت جميعها أمام أعينهم .. وأين الأنقاض والجدران .. وقطع الرخام والأبواب الحديدية النادرة وتماثيل الرخام والمرمر ؟ ! ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد اختفى جسم الجريمة .. وانسحبت معاول الهدم .. وتحولت القصور إلى خرائب .. وأصحاب القرار يستمتعون فى مكاتبهم بآخر صور التقطتها كاميرات التصوير للأبنية العريقة ، وهى تتساقط وتترنح تحت سياط الزمن الرىء .

إذا كان وزير التعليم يتحدث عن أهمية هذه القصور ، فكيف وافق على إزالتها .. وكيف سمح لهيئة الأبنية التعليمية بأن تهدم كل هذه القصور فى عهده ..

وأين كانت محافظة القاهرة ورؤساء أحيائها ومذابح القصور تتم كل يوم أمام أعينهم ..

وكيف اكتفت هيئة الآثار بأن تلتقط بعض الصور التذكارية للقصور قبل هدمها ..

وإذا حاولت أن تناقش الأمور على أساس إدارى يحدد المسئولية، فسوف تكتشف أن معظم أجهزة الدولة تحولت إلى مجموعة من الجزر لاربط بينها ولا اتصال .. فالوزير يقول كلاماً جميلاً عن الأهمية التاريخية للآثار .. ومحافظ القاهرة يشجب ما حدث .. وهيئة الآثار تقف مع المتفرجين .. وهنا أتساءل : من المسئول إذن عن هذه الجريمة ..

هل هدم المسئولون فى هيئة الأبنية التعليمية هذه القصور دون علم وزير التعليم ومن وراء ظهره ؟ ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل قامت البلدوزرات بهدم هذه القصور دون علم رؤساء الأحياء فى القاهرة ، وهم يعرفون كل مصيبة تقع ابتداء بالعمارات المخالفة ، وانتهاء بتزوير رخص البناء أمام مريديان القاهرة عمارة رخصتها عشرة طوابق ، وارتفعت بقدرة قادر إلى خمسة وعشرين طابقاً ، لأن معظم كبار المسئولين فى الدولة حصلوا على شقق فيها .. واكتفت محافظة القاهرة بالحصول على غرامة مقدارها مليونى جنيه مقابل ١٥ طابقاً مخالفاً تطل على نيل القاهرة .

إن دماء هذه القصور يجب ألا تضيع وسط بيانات الشجب والإدانة .. فلابد من الحساب ..

لابد أن يسأل وزير التعليم رجاله فى الأبنية التعليمية ، كيف هدموا القصور دون علمه .. وإن كان يعلم فبماذا يفسر ما حدث وهو الذى يؤكد حرصه على المواقع التاريخية ؟ ..

ولابد أن يسأل محافظ القاهرة رؤساء أحيائه الكرام ، كيف تمت هذه الجريمة أمام أعينهم دون أن يخبروه .. وإن كانوا أخبروه فماذا فعل ؟ ..

ويجب أن يسأل وزير الثقافة أجهزة الآثار كيف اكتفت بمجموعة من الصور التذكارية للقصور العريقة احتفظت بها فى ملفاتها التاريخة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا أدرى لمن نتجه بالسؤال .. وأين الحقيقة فى هذا كله .. وعلى من تقع المسئولية .

إن كل مسئول يحاول أن يلقى الكرة فى ملعب الآخر ..

وحينما تكون القضية مصير وطن وتاريخ أمة ، فربما يتأخر الحساب بعض الوقت ، ولكنه لن يتأخر طويلاً .

إننى أطالب رئيس الحكومة د. الجنزورى بتشكيل لجنة للتحقيق فى ملابسات هذه الجريمة والمشاركين فيها والمسئولين عنها .

إذا كان وزير التعليم يدين ما حدث .. ومحافظة القاهرة تشجب الجريمة .. وهيئة الآثار اكتفت بالتصوير التذكارى .. فأين المسئولية .. ؟ .

من المسئول عن هدم قصر النزهة فى شارع شبرا ، وهو ثانى قصر يقام فيها بعد قصر محمد على الشهير .. وقد استقبل فيه الخديو إسماعيل السلطان عبدالعزيز عند زيارته لمصر .. وقد أعجب السلطان لدرجة أن طلب من أحد الرسامين الأتراك أن يرسم له القصر .

من المسئول عن هدم مدرسة شبراً الإعدادية ، وكانت من القصور الجميلة فى عهد الخديوى توفيق .. وكان القصر فى حالة جيدة تماماً ، وتم بيع كميات هائلة من أخشابه النادرة .. وأبوابه الحديدية التى لا يوجد لها مثيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من المسئول عن هدم المدرسة الإلهامية بالحلمية التى أنشئت فى عهد الخديو عباس حلمى ، وهى طراز إسلامى فريد ..

من المسئول عن هدم مدرسة الظاهر الثانوية ، وهى من قصور عهد الخديوى توفيق ..

من المسئول عن هدم الفيلا الجميلة بطرازها الحديث ، والتى كانت تشغلها مدرسة غمرة الإعدادية .

من المسئول عن هدم مدرسة طه حسين ، وقصر مدرسة جزيرة بدران ومدرسة روض الفرج ، ورقى المعارف والسلطان حسين والمعلمات الراقية وشبرا الأميرية ودرب النشارين ، وابن الرشيد ، وجميعها قصور تاريخية من القرن التاسع عشر ..

إننى أرجو رئيس الحكومة د. الجنزورى أن يوقف فوراً هدم قصر باغوص باشا ابن نوبار باشا فى شارع الشرابية ، وهو أثر تاريخى عريق من عصر عباس حلمى ، وهو الوحيد فى مصر طرازاً ومعماراً .

إننى أرجو رئيس الحكومة أن يوقف هدم قصر توفيق باشا بحلوان . والمعهد العلمى بالمبتديان ومدرسة النيل فى شبرا ، والتى تمثل قصراً فريداً فى عصر عباس حلمى ..

إننى أرجو رئيس الحكومة أن ينقذ ما بقى عندنا من قصور تاريخية ، وأن يأمر بتشكيل لجنة مسئولة لتحديد هذه القصور ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإصدار قرار قاطع بعدم هدمها أو الاقتراب منها .. ومن هذه القصور على سبيل المثال .. قصر سعيد حليم فى شارع شمبليون ومبنى مدرسة الاستقلال بشبرا ، وهو قصر نادر جدا فى مصر والعالم ، ويضم برجا معدنياً نادراً .. وسراى حب الرمان بالعباسية .. وقصر باغوص باشا وسراى نوبار باشا بشارع الجمهورية .. وسراى الأمير يوسف كمال بالمطرية .. وقصر البستانى فى باب اللوق ، وقصر والد إسماعيل باشا صدقى بشبرا .. وقصر إنجى هانم أرملة سعيد باشا خديوى مصر وسراى الخازنداره وسراى الأمير وحيد الدين بالمطرية .. وعشرات المدارس التى تحتل الآن قصوراً تاريخية نادرة فى شبرا والعباسية وحلوان والمنيل وجاردن سيتى والظاهر والحلمية وقصر العينى ..

لقد قام مقاول واحد بهدم تسعة قصور تاريخية فى صفقة واحدة مع هيئة الأبنية التعليمية ، ودفع عشرين ألف جنيه ثمناً لأنقاض واحد من أهم هذه القصور التى لا تقدر بثمن .

والآن هناك طابور طويل من المقاولين وتجار الأنقاض ينتظرون إشارة البدء لهدم كم جديد من رموز وتاريخ وحضارة ..

إنها جريمة بشعة ، وكلنا شركاء فيها .. ابتداء بمن أصدر قرار الهدم ومن نفذه ، ومن شاهد أنقاضه .

والساكت عن الحق شيطان أخرس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما زالوا يهدمون القصور ..

مازال هدم القصور مستمراً حتى كتابة هذه السطور .. ومعنى هذا أن المسئولين الذين أصدروا قرارات الهدم لم يهتموا بما كُتب .. كأنهم يقولون .. دعوهم يكتبون ..ونحن نهدم ما نريد .

فى ميدان الفرنساوى بالعباسية يجرى الآن هدم قصر رشيد باشا وعمره تسعون عاماً .. كما يجرى هدم مدرسة أمين سامى بالمنيرة .. وهى أيضاً قصر قديم .. وتترنح الآن جدران مدرسة حلوان القديمة وهى قصر من عهد عباس حلمى ..

فى الأسبوع الماضى أكد د. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم أنه لم يصدر قراراً واحداً بهدم قصر من القصور .. وطلب من وزير الثقافة الفنان فاروق حسنى أن تقدم وزارته قائمة بالقصور التى تشغلها وزارة التعليم لتحويلها إلى أماكن أثرية .. ولكن وزير الثقافة قال أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هيئة الآثار لا تستطيع أن تفعل ذلك أمام مئات القصور التى تنتشر فى كل أنحاء مصر من الإسكندرية إلى أسوان .

وفى جانب آخر فإن هيئة الأبنية التعليمية التى لم يتجاوز عمرها أربع سنوات لا تعرف تاريخ هذه القصور التى تم الاستيلاء عليها منذ أكثر من أربعين عاماً ومع ثورة يوليو المباركة ..

والمشكلة الآن أن القصور تحتاج إلى إثبات هوية .. وبمعنى آخر لا يوجد فى مصر كلها سجل تاريخى عن هذه القصور .. إنها مجرد أسماء مدارس لا تعنى شيئاً بالنسبة للمسئولين وغير المسئولين أكثر من أنها جدران وقطعة أرض ومجموعة فصول دراسية ..

أما تاريخها المعمارى والحضارى والأثرى فهو لايعنى أحداً على الإطلاق .

وفى الوقت الذى أكد فيه وزير التعليم أن عمليات الهدم توقفت.. فأنا أؤكد أن عمليات الهدم لم تتوقف .. وهذا يعنى أن ذلك يتم من وراء ظهر كبار المسئولين فى الدولة ..

فمن يا ترى يهمه هدم قصور مصر .. وما هو الهدف من هدمها.. وماذا سيقام على أطلالها ..

محافظة القاهرة أصدرت قراراً فى شهر فبراير الماضى بإخلاء القصور والفيلات والعقارات ذات الطابع المعمارى والحضارى المتميز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتى تقوم بشغلها أجهزة حكومية أو مدارس أو أى جهات أخرى حفاظاً على ثروتنا القومية ..

والقرار لم ينفذ .. والدليل على ذلك أن عشرات المدارس قد تم هدمها وهى فى الأصل قصور تاريخية .. بل إن محافظة القاهرة أقامت مساكن شعبية على مجموعة من الأماكن الأثرية المهمة .. والأدلة كثيرة ..

لقد تم هدم جامع سودون زاده الذى يرجع تاريخه إلى عصر المماليك لكى تبنى مكانه مساكن شعبية تطل على محراب المسجد العريق بعد أن تحول إلى مقلب للقمامة ..

وتحولت وكالة «المشناق» ووكالة طوسون ووكالة عباس أغا وجميعها أماكن أثرية مهمة إلى مساكن شعبية ..

بل إن المدرسة الصالحية التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة تم بيع أجزاء منها وأقيمت عليها مجموعة من المساكن ، وأخيراً تم هدم المدرسة العريقة وتوارت أنقاضها تحت معاول القبح والعشوائية وامتهان التاريخ .

والمشكلة الأساسية الآن أنه لا يوجد أحد يتحمل مسئولية هذه الجرائم .. لأن معظمها جرائم تتم فى الخفاء .. حتى أنهم فى كثير من الأحيان يضعون «صواناً» حول المبنى الذى يتم هدمه حتى لا يكشف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحد أبعاد الجريمة .. وتحيط السرادقات بالقصور العريقة فى مشهد جنائزى حزين وهى تتوارى أمام معاول التخريب .

ولا أدرى إلى من نلجأ الآن وعمليات الهدم تتم على قدم وساق.. د. حسين كامل بهاء الدين يؤكد أنه لا علاقة له كمسئول بعمليات هدم المدارس ، وأن قرارات الهدم مسئولية المحافظة ..

والفنان فاروق حسنى وزير الثقافة يقول أنه ينتظر قائمة من وزارة التعليم تحدد له القصور التاريخية التى ستضم إلى إشراف هيئة الآثار ..

وفى جانب آخر فإن وزارة التعليم تطالب هيئة الآثار بتحديد هذه القصور .. والأبنية التعليمية لا تعرف لهذه القصور تاريخاً ..

وفى جانب آخر فإن محافظة القاهرة تصدر قرارات بعدم الهدم وفى نفس الوقت تقوم مجالسها المحلية كل يوم بإصدار ترخيص هدم جديد .. لقصر جديدة ..

فإلى من نلجأ الآن ؟ ..

وكيف تنبهت محافظة القاهرة منذ شهرين فقط إلى جريمة هدم القصور وقد شهدت السنوات الأخيرة أكبر مذبحة للتاريخ المعمارى فى مدينة القاهرة ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى مساحة لا تتجاوز مائتى متر تقام الآن مجموعة ضخمة من الأبراج ..

على حديقة مريديان القاهرة وفى الأماكن المخصصة لوقوف السيارات يقام الآن برج يقال أن ارتفاعه خمسة وأربعون طابقاً ..

وأمام المريديان برج قبيح الألوان مشوه العمارة ارتفاعه سبعة وعشرون طابقاً ..

وعلى أنقاض وأطلال قصر شريف باشا صبرى أمام المريديان أيضاً وافقت محافظة القاهرة على إقامة أربعة أبراج فى مكان واحد ، رغم أن عرض الشارع فى هذه المنطقة لا يتجاوز أربعة أمتار ..

هذه الأبراج السبعة فى منطقة لا يفصل بينها غير أمتار قليلة وأقيمت جميعها على أطلال قصور تاريخية عريقة وافقت محافظة القاهرة على هدمها .. وكان فى ذلك أكثر من جريمة .. الجريمة الأولى هدم القصور ، والجريمة الثانية إقامة الأبراج .. والجريمة الثالثة هذه النماذج المعمارية القبيحة التى شوهت جلال العاصمة وافقدتها صورتها الجميلة .

هل من الممكن أن يرسل السيد عمر عبدالآخر محافظ القاهرة كتيبة من رجاله إلى مواقع هدم القصور ليوقف هدمها سواء فى المدارس أو غيرها ، وينفذ قراره بقوة القانون ، وهو يملك هذا الحق .. هل يأمر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محافظ القاهرة المسئولين عن أحياء القاهرة بإعداد سجلات كاملة عن القصور والأماكن الأثرية التى يجب حمايتها ..

هل تخصص هيئة الآثار مجموعة من خبرائها لتحديد القصور التاريخية التى تحتلها المدارس ومأموريات الشهر العقارى وتنظيم الأسرة؟ .. هل يصدر قرار بتشكيل لجنة وزارية لحصر القصور التاريخية فى القاهرة بحيث يجلس الوزراء المختصون مع المحافظين مع المسئولين فى الآثار لوضع حلول جذرية لمشكلة القصور التاريخية فى مصر بما يضمن حمايتها .

إن كل طرف يحاول الآن أن يخلى مسئوليته .. والجريمة تتم فى وضح النهار وأمام أعيننا جميعاً .. وهى جريمة على المشاع ولا نعرف حتى الآن الأيدى الخفية التى تعبث بأغلى ما نملك ، وهو تاريخنا العريق ..

ما ضاع ضاع . وما تهاوى تهاوى .. والمطلوب الآن أن نحافظ على ما بقى بين أيدينا وهو القليل ؛ لأن الكثير فعلاً ضاع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من يصون حرمة القصور ..

لا توجد جهة فى مصر الآن لديها حصر شامل بالقصور التاريخية فى مدينة القاهرة ، بما فى ذلك هيئة الآثار المسئولة .. ومحافظة القاهرة بكل رؤساء الأحياء فهيا .

ولاشك أن هذه تعتبر ثغرة خطيرة ترتبت عليها نتائج سيئة كان أخطرها هدم مجموعة نادرة من القصور والفيلات فى السنوات الأخيرة ، بحيث يمكن القول بأن القاهرة فقدت بالفعل تراثاً معمارياً وتاريخياً لن تعوضه أبداً .. والشىء المؤلم أن معارك الهدم مازالت تمارس هوايتها الخبيثة تحت أنظارنا .

والمشكلة الأساسية التى اتضحت أمامنا فى الأسابيع الأخيرة أن هناك جهات كثيرة يمكن أن تتحمل مسئولية هدم القصور .. وبقدر ما يمكن أن تتحمل المسئولية بقدر ما تستطيع الهروب منها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن هيئة الأبنية التعليمية مسئولة .. ولكن أمام عمرها الذى لم يتجاوز السنوات الأربع يمكن أن تتراجع المسئولية خاصة إذا قال لك وزير التعليم : إننى أرفض هدم جدار واحد فى قصر .. ولكن اعطونى قطعة أرض بديلة أقيم عليها مدرسة وأنا أول من يحافظ معكم على القصور بكل ما فيها ، فهناك ملايين التلاميذ يريدون مكانا فى مدرسة .. وإذا كانت مسئوليتى كمواطن أن أحافظ على القصور فإن مسؤليتى فى السلطة أن أوفر مكانا فى مدرسة لكل تلميذ يسعى للعلم والمعرفة .

وهيئة الآثار مسئولة .. فكيف لايوجد لدينا حصر حتى الآن بالقصور التاريخية فى القاهرة أقدم عواصم الدنيا .. ألا يكفى أن تظل مخازن الآثار خمسين عاما بدون جرد ، كما اعترف يوما الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة والذى وضع خطة لحصر مافى المخازن من آثار.

قصور بدون حصر ومخازن آثار بدون جرد .. يحدث هذا ونحن نستقبل قرنا جديدا بعد سنوات ، وفى ظل أجهزة الكمبيوتر المتقدمة والإمكانيات الهائلة فى الأبحاث والرصد والتسجيل .. لن يضير هيئة الآثار أن تجمع عددا من خبرائها لرصد أهم القصور التاريخية ليس فى القاهرة وحدها ولكن فى كل أنحاء مصر ، ولتكن البداية تلك الأماكن الهامة فى قاهرة المعز ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كان صندوق التنمية الثقافية قد أنفق سبعة ملايين جنيه على ترميم فيلا واحدة هى مكتبة القاهرة بالزمالك ، فلماذا لايخصص نصف مليون جنيه فقط لعمل حصر كامل وشامل لأهم القصور والمبانى التاريخية فى القاهرة .

أما محافظة القاهرة فقد اكتشفت منذ شهرين فقط أهمية القصور التاريخية .. وقد جاء اكتشافها متأخرا سنوات طويلة ، فالسيد عمر عبدالآخر يعمل محافظا منذ ستة عشر عاما ما بين القليوبية والجيزة والقاهرة ، فهل اكتشف سيادته الأهمية التاريخية للقصور فى شهر فبراير الماضى فقط ، حينما أصدر قرارا لم ينفذ بعدم هدم عشرات القصور خلال الشهور الأخيرة وتحت عين المحافظة وبموافقة منها .

وللأسف الشديد أن القرار صدر بعد أن تم هدم أجمل وأروع قصور وفيلات مصر على شاطىء النيل سواء فى القاهرة أو الجيزة .

وبدلا من أن تشغل محافظة القاهرة نفسها بمطاردة من يهدمون القصور .. شغلت نفسها بتصاريح بناء الأبراج على أنقاض هذه القصور .. ولاشك أن الصورة القبيحة التى نراها الآن على شواطئ النهر العريق أكبر دليل على هذه الجريمة المعمارية .

كنت أتمنى أن يقول لنا السيد المحافظ كيف وافق على إنشاء برج ارتفاعه خمسة وأربعون طابقا على أطلال حديقة فندق المريديان وعلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنقاض أشجاره ومواقف السيارات فيه ، وكيف سيقام هذا البرج فى وسط النيل ليحجب امتداده ويصبح مصدر تهديد لتدفقه .

وكنت أريد أن أسأل الذين باعوا هذا الفندق بمبلغ ٧٠ مليون دولار هل كان فى الصفقة إنشاء هذا البرج الجديد بارتفاعه المخيف .. وفى هذه الحالة يكون بيع المريديان بكل المقاييس صفقة خاسرة .. وغير أمينة .

وكنت أتمنى أن يرد سيادة المحافظ على قصة البرج المقام أما المريديان والغرامة الضئيلة التى حصلت عليها المحافظة وهى مليونا جنيه مقابل ١٥ طابقا مخالفا .. وكنت أريد أن أسأل عن عشرات الأبراج القبيحة التى لم تترك على النيل شبرا واحدا يتنفس فيه البسطاء من الناس هواء نقيا .

والخلاص الآن ..

- إن مذابح القصور مازالت تلتهم البقية الباقية وتحاول كل يوم أن ترتكب جريمة جديدة .

- إن أجهزة الدولة تفتقد التنسيق فيما بينها .. وأكبر دليل على ذلك هذا التعارض والتناقض فى مواقفها ، حيث تصدر قرارات هدم من جهة .. وقرارات تنفيذ من جهة .. وهناك جهات أخرى مثل هيئة الآثار لا علاقة لها بكل ما يجرى رغم أن مسئوليتها الأولى حماية هذا التاريخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- إن المسئولين يفعلون الآن ما يريدون دون خوف من حساب أو مساءلة .. هناك عشرات القصور ومئات الفيلات التى اختفت وقامت على انقاضها أبراج جديدة .. فماذا حدث .. لا شىء على الإطلاق ابتداء باختفاء فيلا أم كلثوم على نيل الزمالك وانتهاء بإقامة برج على حديقة المريديان مئات من القصور المهدمة والفيلات المخربة التى أطاحت بكل جوانب الجمال فى قاهرة المعز العريقة ..

والمطلوب الآن قرار سيادى يجمع السادة الوزراء مع المسئولين المختصين لعمل حصر شامل للقصور التاريخية فى أنحاء مصر من الإسكندرية إلى أسوان ، بحيث ينفذ قانون حماية الآثار على أساس أن مازاد عمره على مائة عام يعتبر أثرا تاريخيا يجب أن نحافظ عليه .

وقد يرى البعض أن فى ذلك تضييعا للوقت والجهد ، وأنا أقول إن أوقاتا كثيرة وأزمنة طويلة تضيع فى تفاهات يومية ابتداء بالتصريحات وانتهاء بشاشات التليفزيون ، فإذا ضاع الوقت من أجل تاريخ نحافظ عليه وحضارة نصونها .. فهذا إنجاز عظيم .

ومازلت أنتظر قرارا عادلا يصون للقصور حرمتها ويمنع عنها أيدى العبث والتخريب .. وأرجو ألا ننتظر طويلا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسئولية .. على المشاع !

لاتستطيع قوة فى الأرض أن تعيد القصور التى هدمناها إلى الحياة مرة أخرى ، فهذا يدخل فى نطاق المستحيل .. ولكن هدفنا الآن أن نبقى على هذه المجموعة القليلة الباقية حتى لاتلحق بها معاول الهدم والتخريب .

ولأن المسئولية كما قلت من قبل على المشاع ، فإن هيئة الآثار تؤكد اليوم فى ردها المنشور على هذه الصفحة أنها لم توافق مطلقا على قيام هيئة الأبنية التعليمية بهدم هذه القصور ، وأن الأبنية التعليمية تتحمل مسئولية الهدم كاملة ..

وتؤكد هيئة الآثار فى ردها أن قرار محافظة القاهرة فى شهر فبراير الماضى كان هدفه منع هذه الجريمة ..

ورغم تقديرى الشديد لهذا الكلام ، إلا أننى أعتقد أن هذا القرار جاء متأخرا .. لأن الهدم تم منذ سنوات بعيدة ، فأين كانت محافظة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القاهرة ؟ ، وأين كانت هيئة الآثار ، وأين كنا جميعا من هذه الكارثة ؟

وليس المطلوب الآن البكاء على اللبن المسكوب ، ولكن المطلوب هو الوصول إلى صيغة ما بين أجهزة الدولة المسئولة لمنع تكرار هذه الجريمة ..

والقضية تنحصر الآن فى ثلاثة أطراف أساسية يجب أن تتحمل مسئوليتها ..

- محافظة القاهرة .. وتقع عليها الآن مسئولية عدم الاقتراب من القصور الباقية ، طبقا لقرار المحافظة بمنع عمليات الهدم .. فالمحافظة الآن مسئولة عن صيانة هذه القصور وعدم الاقتراب منها أو الموافقة لأى جهة كانت على هدم جدار فيها .

- إن قانون الآثار يعطى هيئة الآثار الحق فى إضافة أى مكان أثرى فى مصر ، ومن هنا يصبح من حقها أن تعلن وصايتها ومسئوليتها عن القصور الباقية ، والقانون يعطيها هذا الحق ، فلماذا لا تستخدم حقها فى استخدام القانون .

- على هيئة الأبنية التعليمية أن توقف عمليات هدم القصور ، تنفيذا لقرار محافظة القاهرة ، وفى نفس الوقت تقوم وزارة التعليم بتسليم القصور الباقية لهيئة الآثار ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا سوف تبرز مشكلة هامة وخطيرة حدثنى فيها د. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم ، وهى البحث عن أماكن بديلة تقام عليها المدارس الجديدة التى كان من المفترض أن تقام على نفس المدارس القديمة..

والحل هنا يحتاج إلى شىء من التنسيق والتشاور بين كبار المسئولين على مستوى الحكومة ، للبحث عن مناطق بديلة لتقام عليها هذه المدارس .

وليس من الضرورى أن يتم إخلاء هذه المدارس مرة واحدة .. ولكن يمكن أن توضع خطة على خمس سنوات أو أكثر بحيث يتم بناء المدارس الجديدة فى مواقع جديدة مع إخلاء هذه القصور على مراحل زمنية معقولة ..

وهذا الحل فى تقديرى سوف يجعل العبء معقولا سواء على محافظة القاهرة التى ستقوم بتوفير الأماكن الجديدة لبناء مدارس بديلة بالتعاون مع وزارة التعليم أو بالنسبة لهيئة الآثار التى ستقوم بترميم هذه القصور والمحافظة عليها وصيانتها ..

ولاشك أن استغلال هذه القصور بعد ذلك يمكن أن يوفر على الدولة جهوداً كبيرة تبذلها فى بناء مكتبات أو قصور ثقافة جديدة أو مراكز فنية وثقافية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إننى أعلم أن الدكـــتـــور الجنزورى رئيس الوزراء أعطى هذا الموضوع أهمية كبيرة فى الأيام الأخيرة ، ولاشك أن الإجراءات الخاصة بعمليات الهدم والمناطق الأثرية التى جاءت فى اللائحة التنفيذية لقانون البناء سوف تسد ثغرات كثيرة ، كانت وراء هدم عشرات القصور وإنشاء الأبراج التى استباحت كل جوانب الجمال والحضارة والعمارة فى القاهرة ، وأرجو أن تساهم هذه اللائحة فى وقف عشوائيات البناء فى مصر بكل أشكالها .

ولقد حزنت كثيرا حينما سمعت قصة بيع فندق المريديان ، وما تم فى هذه الصفقة الغريبة .

لقد باعت الدولة الفندق منذ سنوات قليلة بمبلغ ٧٥ مليون دولار، وهنا ليس لنا تعليق أو اعتراض .. ولكن أن تشمل الصفقة ضمن بنودها الأساسية حق المشترى فى بناء برج ارتفاعه ٤٥ طابقا فى قلب النيل، وعلى حديقة الفندق، فهذا بند مشبوه ومريب .. لأن معنى ذلك أن المشترى حصل على الفندق بلا مقابل.. أو أنه حصل على برج ارتفاعه خمسة وأربعون طابقا «فوق البيعة»، وهذا ليس منطق استثمارات اقتصادية ولكنه منطق يتناسب مع صفقات وكالة البلح.

قد تكون الحكومة الحالية غير مسئولة عن هذه الصفقة .. ولكننى أشعر أن فى هذه الصفقة .. ظلما بينا وتحايلا غريبا..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنه اتفاق فيه تركيبه عجيبة .. بيع فندق فى أجمل موقع على نيل القاهرة .. ثم الحق فى إقامة برج على أنقاض حديقة الفندق ومواقف السيارات فيه .. ثم تحديد ارتفاع هذا البرج، بحيث سيكون أعلى مبنى فى القاهرة، وتقديم ترخيص البناء بهذه الشروط المخيفة، كل هذه الصفقات بمبلغ ٧٥ مليون دولار .. !!

إن مثل هذه التجاوزات المخيفة تسىء إلى برنامج الخصخصة، مهما كانت نواياه الطيبة .. ولسنا ضد سياسة الحكومة فى ترشيد قطاعات الإنتاج، ولكننا ضد مثل هذه التجاوزات غير المفهومة ..

فأنا لا أتخيل دولة فى العالم تبيع فندقا كبيرا فى حجم المريديان.. وبموقعه الخرافى ومعه برج فى وسط النيل برخصة تتضمن خمسة وأربعين طابقا، ومساحة من الأرض تزيد على خمسة آلاف متر فى أجمل موقع على نيل القاهرة، بهذا المبلغ الذى لا يتناسب إطلاقا مع قيمة الفندق وتوابعه من الإنشاءات..

إن لائحة قانون البناء الجديدة يمكن أن تضع حدا للتجاوزات المخيفة فى إنشاء الأبراج والتكدس المعمارى القبيح على شواطئ النيل.. وأن تمنع هدم القصور التاريخية وتحافظ على حرمة الأماكن الأثرية.. وتعيد الانضباط إلى هذا الجانب الخطير فى حياتنا بعيدا عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العشوائيات والإرتجال وعمارة القبح التى استباحت كل جوانب الجمال فى حياتنا.

وما حدث فى برج المريديان حدث فى مناطق كثيرة أخرى على شواطئ النيل حيث التجاوزات المخيفة فى الارتفاعات والتكدس .. والقبح.. والعمارة الرخيصة ..

ولا يمكن الفصل بين كل هذه التجاوزات .. لأن هدم القصور العريقة هو الأب الشرعى لإنشاء الأبراج العشوائية القبيحة .. والمسئولية أولا وأخيرا تقع على نفوس ضعيفة فرطت فى القصور واستباحتها وسمحت بالتجاوزات ووافقت عليها.

وكانت الضحية فى هذا كله عاصمتنا العريقة القاهرة أجمل عواصم الدنيا وأعمقها تاريخا وحضارة..

والذى أرجوه الآن أن يجمع د. الجنزورى رئيس الوزراء أطراف «قضية القصور» لأن كل طرف يلقى المسئولية على الآخر .. فالتعليم تتهم المحافظة .. والآثار تتهم الأبنية التعليمية، وبين الأطراف الثلاثة غابت الحقيقة .. والمطلوب الآن أن يجتمع هؤلاء جميعا تحت مظلة الحكومة لمناقشة جوانب القضية ووضع حلول لها، وتبقى لنا كلمة أخيرة .. كانت القاهرة فى يوم من الأيام تتجمل بأعظم مجموعة من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصور التاريخية العريقة، وللأسف الشديد لقد فرطنا فى الكثير من حبات هذا العقد الفريد، ولم يبق غير مجموعة قليلة مازالت تضىء عاصمتنا الجميلة ، ويجب أن نحافظ عليها ... وأرجو أن تضع قوانين البناء الجديدة التى أصدرتها حكومة د. الجنزورى حدا لعشوائيات البناء .. وإن كان الأهم أن نضع حدا لعشوائيات اختيار البشر فى بعض مواقع القرار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أجيال .. بلا ذاكرة !

كانت حصة التاريخ فى مدارسنا هى أول نقطة ضوء تتسلل داخلنا وتروى لنا ذكريات ماضينا العريق .. وأدركنا يومها أننا نعيش فى وطن يختلف عن كل الأوطان .. قد تكون هناك أوطان أغنى .. أو أقوى .. أو أكبر .. ولكننا وطن صنع الزمن .. ولم يصنعه الزمن .. شعرنا يومها أن لنا جذورا تمتد بعمق الحياة .. وأننا أصحاب حضارة ودور ومسئولية ، ولم نكن أبدا شيئا عابرا فى مسيرة البشر والأحداث..

قد يكون الحاضر قد غير بعض ملامح الصورة فتوارى بريقها ، ولكن الانكسارات مهما طالت ستبقى حدثا عابرا فى مسيرة الشعوب .

وفى حصة التاريخ عرفنا رموزنا الوطنية والعسكرية والفنانين والأدباء والعلماء .. وفتحنا أعيننا على معابد مصر الفرعونية بكل رموزها الشامخة .. وكنائس مصر القبطية بكل تراثها .. وعانقنا مصر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسلامية بمساجدها وفتوحاتها وعلمائها وأزهرها الشريف .. ثم لمحناها حائرة ساخطة بين العثمانيين والمماليك والاستعمار البغيض .

قرأنا هذا كله فى حصة التاريخ ، وتعلمناه فى مدارسنا ، وكان اللبنه الأولى التى شكلت مشاعر الانتماء والولاء والأصالة لتراب هذا الوطن أرضا وحضارة وتاريخا .

هذه هى حكايتنا مع التاريخ ابتداء بحصة التاريخ فى المدرسة وانتهاء بمحاضرات د. غربال .. ود. محمدأنيس رحمهما الله . فى رحاب جامعة القاهرة ، وفيها تعلمنا قيمة التاريخ فى تكوين شخصية الإنسان وثقافته ورؤيته للأشياء .

إن هناك محاور أساسية لها خطورتها فى تكوين وجدان الإنسان.

أول هذه المحـــاورهو الدين .. ذلك الضـــوء الربانى الذى يضع الإنسان على أعتاب إحساس عميق باليقين فى حياة كل مافيها يحمله إلى الشك ابتداء بمولده وأسرار خلقه .. وانتهاء بموته وحيرته أمام هذا اللغز الأبدى .

يأتى بعد ذلك دور الفن ، وهو منطقة تعطى الحياة جلالا وترفعا وقيمة وهو الغذاء الدائم للوجدان البشرى ..

وما بين الدين والفن يقف التاريخ عاملا مؤثرا للغاية ؛ لأنه يمثل الجذور التى ترتكز عليها شخصية الإنسان بكل عناصر الثراء والانتماء فيها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من هنا تأتى قيمة التاريخ ..

ولقد فوجئت فى الأسبوع الماضى بصديق عزيز يخبرنى أن نظام الثانوية العامة الجديد الذى بدأ تنفيذه هذا العام ، جعل من التاريخ مادة اختيارية ، فليس الطالب ملزما بدراسة تاريخ وطنه فى الثانوية العامة ، إلا إذا رغب هو فى ذلك .

ورجعت لقانون الثانوية العامة الجديد وتأكدت من صدق الرواية .. فالتاريخ مادة اختيارية فى شعبتيها الأدبى والعلمى .

والشىء الغريب أن موضوع التاريخ بالذات لم تتم مناقشته فى الادارات التعليمية أو اللجان الخاصة بإعداد المناهج ، وتحول تاريخ مصر إلى مادة اختيارية غير ضرورية فى أهم شهاداتها الدراسية ، وهى الثانوية العامة ، حتى أنه لايتساوى فى الأهمية مع اللغات الأجنبية التى يدرسها الطلبة والتى وضعها القانون فى قائمة المواد الأساسية الملزمة لكل الطلبة .

والأغرب من هذا كله ، أن مجلس الوزراء وافق على مشروع القانون دون أن يلتفت إلى هذا التجاوز المهين .. وأن مجلس الشعب وافق على القانون دون أن يتوقف عند هذا الخطأ الجسيم ، ولايمكن لنا أن نتصور ألا يكون التاريخ مادة أساسية فى أهم فترة فى عمر أبنائنا .. وأهم شهادة علمية تحدد مستقبلهم وتوجهاتهم العلمية والإنسانية والوطنية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والذى أعرفه ان دول العالم بلا استثناء تدرس تاريخها وتعتبره مادة أساسية .. بل إن أقسام اللغات فى الجامعات المصرية تدرس لأبنائنا تاريخ الدولة التى يتعلمون لغتها .. ولهذا يدرس طلبة قسم اللغة الإنجليزية تاريخ إنجلترا .. وكذلك قسم اللغة الفرنسية وأقسام اللغات الأخرى .

ولكننا فى مصر نسعى لإلغاء تاريخنا من عقول أبنائنا ..

والحقيقة أن مناهج التاريخ فى مصر كانت مستهدفة منذ فترة بعيدة حتى تم تهميشها تماما فى الثانوية العامة بنظامها الجديد .. لقد تغيرت مناهج التاريخ كلها بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع اسرائيل، وتم حذف أجزاء كاملة من تاريخ الوطنية المصرية والمعارك العسكرية والصراع العربى الإسرائيلى .

فهل أصبح مطلوبا منا الآن أن نمسح ذاكرتنا وننسى رموزنا ونلغى تاريخنا ونصير شعبا بلا جذور ؟!

هل أصبح مطلوبا من أبنائنا نسيان رمسيس وتحتمس وخالد بن الوليد وطارق بن زياد ، وعمرو بن العاص ، وصلاح الدين ، والسلطان قطز ومحمد على والخديوى إسماعيل وعمر مكرم وعبدالله النديم وعرابى وسعد زغلول وجمال عبدالناصر والسادات ؟!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل أصبح مطلوبا منا أن ننسى سليمان الحلبى .. وجول جمال وجواد حسنى .. وعبدالمنعم رياض ؟!

هل أصبح مكتوباً علينا أن ننسى الطهطاوى والأفغانى ومحمد عبده وأحمد شوقى وحافظ إبراهيم وقاسم أمين ولطفى السيد والقعاد وطه حسين ؟!.

هل أصبح مفروضاً علينا أن نسكت صوت أم كلثوم وعبدالوهاب وعبد الحليم والسنباطى من أجل عيون مادونا ومايكل جاكسون وسلفستر ستالونى والمصارعة الحرة واتفاقيات السلام مع إسرائيل والأغانى الهبابية ؟!

هل أصبح مطلوباً منا تخريج أجيال بلا ذاكرة.. ولا انتماء.. ولا مسئولية..

إنها محاولة واضحة لمسخ الشخصية المصرية وتشويه معالمها.. وهذا لا يمكن أن ينفصل عن جوانب أخرى نشاهدا وتجرى أمام عيوننا كل يوم ونحن نرى ولا نتكلم .

- إن التغيرات الحادة والمخيفة التى حدثت فى أجيالنا الأخيرة، مظهراً وسلوكاً وانتماء ، تتطلب منا وقفة حاسمة.. هذا الشباب الحائر المتردد فى ملبسه ومأكله ومظهره وسلوكه وضياعه بين المخدرات والإرهاب .. يحتاج إلى مواجهة صريحة مع أنفسنا..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فليست هذه هى مصر ، ولا هذا شبابها .. ولهذا أكاد ألمح يداً خفية تتربص بنا من كل اتجاه ، وهدفها الأساسى تخريب الأجيال الجديدة وتشويه فكرها وسلوكها ونظرتها للحياة .

إن ناطحات السحاب التى أطاحت بكل جوانب الجمال والجلال فى العمارة المصرية وقصورها العريقة تستهدف جانباً مهماً فى الشخصية المصرية بتاريخها المعمارى العريق ..

إذا كان البعض منا قد بهرته زخارف الأبراج العالية ، فإن العالم كله ما زال يقف مذهولاً أمام اثرنا التى لا نعرف قدرها وقيمتها .

- إن تراجع اللغة العربية فى حياتنا وسلوكياتنا وشوارعنا ومناهج تعليمنا ووسائل إعلامنا ، يهدف إلى اقتلاع جزء عزيز من جذورنا .. ولا يعقل أن تكون درجات اللغة العربية فى الثانوية العامة ونظامها الجديد خمسون درجة موزعة على عامين دراسيين كل منهما خمسة وعشرون درجة.. فهل هناك امتهان للغة العربية أكثر من هذا ؟!

- إن المهرجانات الصاخبة التى تحمل لافتة الثقافة ، ما هى إلا بالونات إعلامية هدفها الأساسى مسخ الشخصية المصرية بكل مقوماتها .. ومن الغريب أن ندفع ملايين الجنيهات فى إقامة هذه المهرجانات الصاخبة ، بينما لا تجد قصور الثقافة فى الأقاليم قروشاً لشراء كتاب لآلاف الشباب من الباحثين عن الثقافة الجادة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى كل يوم نشاهد زفة جديدة نسميها مهرجاناً.. فهذا مهرجان الإسماعيلية للفنون الشعبية .. ومهرجان الإسماعيلية للفيلم التسجيلى.. ومهرجان الاسكندرية السينمائى.. ومهرجان القاهرة السينمائى .. ومهرجان المسرح التجريبى .. ومهرجان الدراما التليفزيونية.. ومهرجان الأغنية.

ونكتشف بعد ذلك كله أن مسرح الدولة أنتج هذا العام مسرحية واحدة وأن السينما المصرية قدمت سبعة أفلام .. فهل هناك استهتار بدور الفن المصرى أكثر من هذا ؟.

- هذه الطبقة الجديدة التى داست على كل مقومات الشخصية المصرية واستباحت جذورها وأخلاقياتها ، أصبحت سيفاً مُصْلتاً على رقاب الجميع ، وفرضت فنونها وأذواقها وسلوكياتها على المجتمع كله.

- أن تتحول مصر إلى دولة مستوردة للقطن وهى التى كانت يوماً ما أهم دولة مصدرة له فى العالم ، واختفى ذهبنا الأبيض أمام الخيار والكانتلوب والسياسات الخاطئة.

- أن تشهد بنوك مصر وهى من أهم رموز استقلالها الوطنى والاقتصادى ، هذه التجاوزات الخطيرة التى تهدد أخطر وأهم أعمدة اقتصادنا القومى ، وهو الجهاز المصرفى ، ويواكب ذلك فى وقت واحد، إصرار غريب على بيع كثير من الأصول الاستثمارية والمشروعات الانتاجية المهمة دون تنسيق أو دراسة متأنية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- هذه الهجمة الشرسة من المعاهد التعليمية اللقيطة التى ظهرت فى حياتنا فجأة لتحصل على ملايين الجنيهات من الطلبة المساكين.. أن هذه البوتيكات التعليمية التى انتشرت كالأوبئة تمثل أكبر خطر على العملية التعليمية فى مصر .. فقد ظهرت فجأة وبلا مقدمات وما زال ظهورها المفاجئ يمثل لغزاً أمام الجميع .

هذه التحولات الخطيرة فى حياتنا لا تنفصل أبداً عن تهميش دراسة التاريخ فى مدارسنا، أو تراجع اللغة العربية أو بيع الأصول الاقتصادية أو الانحدار الفنى الذى نشاهده أو التغير فى سلوكيات الناس .

ولهذا لم يكن غريباً أن يبخل علينا التليفزيون المصرى ببرنامج مناسب عن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى ذكرى وفاته الخامسة والعشرين .

إن أوروبا بكل ثقلها تصرخ الآن أمام النموذج الأمريكى الذى يحاول أن يقتحم حدودها فى كل شئ ابتداء بالفن وانتهاء بالثقافة والعمارة ومكونات البشر .

والشئ الغريب أن نسمع من بيننا من يقول أن هناك محاولات لإعادة توزيع الأدوار فى المنطقة .. إن مصر أكبر من هؤلاء الذين يحاولون توزيع الأدوار.. وهؤلاء المنافسون لا يقفون بجوار محافظة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحدة من محافظات مصر بناسها .. ومواهبها وإنتاجها ومقوماتها التاريخية والإنسانية .. فماذا جرى لنا .. وكيف اختلطت الأشياء فى عيوننا وفقدنا القدرة على التمييز بينها بهذه الصورة؟..

ولكن من هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون..

إن هناك أيدياً خفية تحاول بث الفرقة بيننا وبين أنفسنا ، لكى تفقدنا إيماننا بقدراتنا ، وأهم هذه القدرات أننا أصحاب تاريخ وصناع حضارة.

إن أمريكا لا يهمها التاريخ من قريب أو من بعيد .. ويهمها جداً أن تختفى ملامحه من كل أرجاء الدنيا ، لأنها دولة بلا تاريخ.. وإسرائيل لا ترى شيئاً غير تاريخ بنى اسرائيل .. ولا تعنيها غير مصالحها .. ولكننا شعب له مقومات ورموز وحضارة .. وكل محاولة لتشويه الشخصية المصرية يجب أن نتصدى لها ابتداء بالطعام الذى نأكله، وانتهاء بتدريس التاريخ لأبنائنا فى المدارس .. والخطر الأكبر أن المسلسل واحد ، وأن المشاهد متعددة ، وعلى حكماء هذا الوطن أن يدركوا حجم المسئولية.

ولا أدرى كيف يخرج بنا وزير التعليم الدكتور حسين كامل بهاء الدين من هذا المأزق مع تاريخنا .. وكيف وقع فى هذه المصيدة .. ومن الذى أوقعه فيها ..؟.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا كان ذلك اختياراً .. فهى كارثة..

وإذا كان بغير علم .. فهى خسارة..

وفى الحالتين مطلوب من وزير التعليم أن يصلح ما أفسده قانون الثانوية العامة ، ويعيد التاريخ معززاً مكرماً إلى المواد الأساسية فى الثانوية العامة .

إن د. حسين كامل بهاء الدين وزير سياسى ، ولا أدرى كيف غاب عنه هذا الموضوع .. لقد كان أميناً لمنظمة الشباب ، وكان شاهداً سياسياً على أكثر من عصر .. وكان شريكاً فى بعض الأحيان.. وهو قبل هذا كله طبيب الأطفال .. فكيف قبل السياسى المحنك وطبيب الأطفال البارع أن يخرج من مدارسنا فى عهده شباب بلا ذاكرة.. وعقول بلا تاريخ.. وأجيال بلا جذور ؟! لابد أن يعود تاريخ مصر مادة أساسية فى الثانوية العامة كما كان .. وعلى وزارة التعليم أن تصحح خطأها .. وعلى مجلس الوزراء أن يراجع قراره.. وعلى مجلس الشعب أن يقرأ القوانين بعناية أكثر قبل أن يوافق عليها بالإجماع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العمل الوطنى .. بين مسئولية القرار .. ومسئولية القلم

ما احوجنا الآن إلى كل كلمة صادقة .. وكل جهد خلاق .. وكل موقف مسئول وحريص على مصالح هذا البلد .. والنقد لايعنى أبدا التجريح أو الهجوم أو الإساءة .. ولكنه يمثل نقطة الضوء التى يزداد معها إيماننا بأن مقاييس الأشياء قد تختل أحيانا لتستعيد توازنها .. وأن وجه الحياة قد تصيبه بعض التشوهات، ولكنه سرعان مايعود إلى تناغمه وتناسقه وشموخه القديم .

والنقد محاولة جادة ومسئولة لإعادة التوازن للأشياء سلوكا .. ووعيا .. ومسئولية .

والمشكلة عندنا الآن ان هناك حساسية شديدة لدى بعض أصحاب القرار باختلاف درجاتهم ومواقعهم من النقد، ويتصور بعض هؤلاء أن وراء هذا النقد هدفا أو غاية .. أو هو محاولة للإساءة بلا مبرر .. رغم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن الهدف فى حقيقته هو الحرص الشديد على مصالح هذا البلد وهو ملك لنا جميعا ولأجيال ستجىء من بعدنا، وسوف نحاسب أمامها يوما ونتمنى أن يكون كشف حسناتنا اكبر بكثير من أخطائنا .

ولأن المسئولية خدمة عامة .. والكتابة أيضاً خدمة عامة فالهدف واحد والغاية واحدة حتى وان اختلفت الوسائل وتعددت الطرق .

فالمسئول فى موقعه يؤدى دورا .. وهذا الدور يرتبط بمواقف وإجراءات .. وحسابات .. وأخطاء .. ومزايا .. ومادام هناك عمل ما فهناك احتمال كبير للخطأ .. لأن الذين لايخطئون .. هم فقط الذين لايعملون .

والمسئول له رأى وله فكر .. وله أسلوب .. ولايعنى ذلك أبدأ ان رأيه دائما على صواب .. ولهذا فإن الحوار قضية ضرورية بين صاحب القرار وصاحب القلم .. فإذا كانت مسئولية القرار هى الفعل .. فان مسئولية القلم هى تقييم هذا الفعل .

ومن هنا كانت العلاقة دائما مهمة وضرورية بين القرار والقلم .. وفى نفس الوقت فإنها تصل أحيانا إلى درجة من درجات الخلاف أو الصدام أو المواجهة .

وبعض المسئولين عندنا يضيقون بالنقد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرجع ذلك إلى أننا اعتدنا عبر سنوات طويلة على سياسة الرجل الواحد .. والرأى الواحد .. والقرار الواحد .. ومن هنا كان حق الحوار أو النقاش أو الرفض قضية متعبة لكل من يحاول ذلك .. وقد اختلفت درجة المتاعب ابتداء بالسجون والمعتقلات، وانتهاء بالمصادرة ومنع الكتابة.

وهناك سبب آخر لضيق أصحاب القرار بعمليات النقد، وهو أن بقاء بعضهم فى مواقعهم وقتا طويلا يشعرهم أحيانا بأن الموقع تحرك من منطقة المسئولية إلى منطقة الملكية، وهذا تجاوز غير مقبول .

وبجانب هذا فإن البعض الآخر يفسر النقد احيانا بأنه يرجع لأسباب ذاتية أو شخصية؛ لأننا اعتدنا فى أحيان كثيرة أن نرجع تفسير المواقف إلى دوافع شخصية أو ذاتية .

وينسى هؤلاء أن النقد فى حقيقته خدمة مجانية تقدم للمسئول وخاصة إذا اتسم هذا النقد بالنزاهة والموضوعية وصدق النوايا .

وحينما تصل الأمور إلى مايشبه «الصدمة» سواء للرأى العام أو لصاحب القلم نفسه فإن قضية النقد تصبح أكبر من صاحب القرار وصاحب القلم معا .. وهنا لايمكن أن تتساوى أبداً جريمة طبيب نسى ميعاد زيارة مريض .. مع طبيب آخر نسى أدوات الجراحة فى بطن المريض .. رغم أن الجريمة واحدة .. وهى النسيان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما أكثر الصدمات التى واجهها أصحاب الأقلام والرأى العام فى الفترة الأخيرة .. لأنها تمس جوهر حياتنا وتاريخنا وقيمتنا كشعب يدرك مسئولياته .

- حينما يفكر البعض فى إقامة طريق دائرى بجوار منطقة الأهرامات فى الجيزة ويقف اليونسكو منددا بهذا العمل غير الحضارى .. فإن هذه واحدة من أكبر الصدمات التى واجهها الرأى العام.

- وحينما يكتشف البوليس الإنجليزى واحدة من أكبر جرائم التهريب التى تعرضت لها آثار مصر ونحن هنا نائمون .. فهذه كارثة ..

- حينما تقيم محافظة القاهرة أساسات كوبرى ١٥ مايو تحت كوبرى أبو العلا ثم نبدأ فى البكاء على كوبرى ابو العلا ونكتشف أن الخسارة ستكون خسارتين .. فلو أننا أبقينا على كوبرى أبو العلا فلابد أن نضحى بالأساسات التى أقمناها لكوبرى ١٥ مايو .. وإذا قررنا استكمال كوبرى ١٥ مايو فلابد من إزالة كوبرى أبو العلا .. وفى الحالتين مطلوب ١٧ مليون جنيه لنقل كوبرى أبو العلا، فأين كان التخطيط فى هذا كله حتى نجد أنفسنا فى هذا الموقف الذى لانحسد عليه .

- وحينما يفكر البعض منا فى إقامة مدينة للملاهى فى جزء من حديقة الأورمان فهذا عمل غير حضارى .. لأن للحدائق حرمتها ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأشجار العتيقة لاتقل قيمة وأهمية لدى الشعوب المستنيرة عن أى جانب اخر من تراثها وحضارتها .. الأشجار العتيقة مثل الكتب .. والتماثيل .. والأماكن الأثرية العريقة التى تشع منها روائح الزمن والتاريخ .

– وحينما يفكر البعض فى إنشاء محلات للأطعمة فى حديقة الأسماك فهذا أيضا انتهاك لحرمة الحدائق العامة وعدوان على كل ما هو جميل فى حياتنا .

– وحينما يفكر البعض فى بيع جزء من قصر محمد على بالمنيل لإقامة فندق أو عمارات أو خوازيق خرسانية .. فهذا أيضا جناية فى حق التاريخ .

– وحينما تقوم كراكات وزارة الرى بردم جزء من النيل تحت دعوى إقامة كورنيش جديد وبقرار من مجلس الوزراء فكان ينبغى أن نسأل المسئول عن هذا القرار اولاً عن حجم المخالفات التى تعرضت لها شواطىء النيل من أسوان للإسكندرية وعشرات المبانى العشوائية التى انتشرت على النهر فى أكبر مظاهرة للقبح تشهدها مصر فى عصرها الحديث مابين نواد .. وأبراج .. وتعديات .. ثم تختار وزارة الرى موقعا غريبا .. ومريبا لكى تقيم عليه كورنيشا جديدا وتترك آلاف التعديات بلا حساب أو عقاب أو مساءلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه نماذج لبعض الصدمات التى تعرضنا لها فى الفترة الأخيرة .. وهى كما يبدو لاتتم بصورة عشوائية، ولكنها دقيقة جدا فى اختياراتها ومواقعها وتوقيتات تنفيذها .

وهنا تصبح مسئولية القلم أكبر بكثير من لغة الحسابات والتجاوزات والمصالح .. لأنها مصلحة وطن قبل ان تكون مصلحة أفراد سواء كانوا على كراسى السلطة أم حالمين بها أم بعيدين عنها .

إن جسم الإنسان قد يتعرض أحيانا لبعض الأمراض العارضة التى لاتمثل خطورة على حياته .. ولكن هناك بعض الأمراض التى تحتاج إلى تشخيص دقيق وعلاج حاسم لأنها تحمل أخطارا تصل لدرجة التدمير .

وما يحدث فى جسم الإنسان يحدث أيضا فى مسيرة الوطن حينما تبدو فى الأفق بعض الظواهر الغريبة التى تمثل خطرا على كيان هذا الوطن فى قيمته .. وتاريخه .. ومسئوليته ودوره ..

وهنا يصبح التشخيص ضرورة .. ويصبح العلاج أمرا لامفر منه .. وتصبح المواجهة مسئولية الجميع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رفاق السلاح ... وأخلاق الفرسان

لم تكن ثورة يوليو مجرد حدث عابر فى تاريخ الشعب المصرى ... لقد كانت نقطة تحول خطيرة فى مسيرة الزمن والبشر والأحداث ، وكانت لها تجاوزات ضخمة دفعنا ثمنها ... وكانت لها إنجازات لاينكرها إلا جاحد .. وما بين الإنجازات والتجاوزات يبقى شىء على درجة كبيرة من الأهمية، إن تاريخ الشعوب يمثل ذاكرتها الحية، ومن الخطأ الجسيم أن تتعرض هذه الذاكرة لعمليات تشويه وتعتيم وتضليل سواء كان ذلك بحسن نية أم سوء قصد لأن النتيجة المؤكدة لذلك هى أن تنبت الأرض أجيالا بلا ذاكرة وأشجارا بل ثمار وأزمنة بلا هدف أو غاية أو قضية .

وفى الفترة الأخيرة خرجت علينا صفحات طويلة من المذكرات كتبها رجال شاركوا يوما فى صنع القرار وكانوا على رأس السلطة التنفيذية .. وكتبها حراس وأطباء وطهاة وسائقون ومخبرون كانوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قريبين من أصحاب القرار .. وما بين الكبار وغير الكبار غابت حقائق كثيرة وتهاوت قيم أصيلة كان ينبغى أن نحافظ عليها فى كتابة تاريخنا ومتابعة أحداثه .

والمشكلة الرئيسية أن هذه المذكرات تتناول رجالا أصبحوا الآن فى رحاب الله، فلاهم قادرون على تكذيب مايقال ولاهم قادرون على تصحيح الأخطاء والمواقف ... ومن هنا فإن التجاوز فى سرد الحقيقة يصبح تجنيا على التاريخ وامتهانا لرجال لايملكون حق الرد أو التعقيب .. وربما كان بعضهم يهمس إلى نفسه ببعض الخواطر فى لحظة ألم أو ضيق أو مرارة ... فكيف نسطر ذلك للناس ونعتبره تاريخا وحقائق ثابتة .

وفى لغة العسكريين كلمة أصيلة ومصطلح عريق وهو «رفقة السلاح» . ورفاق السلاح مجموعة من الأشخاص جمعتهم محنة أو قضية أو موقف أو غاية ، وربما اختلطت دماؤهم فى لحظة عطاء ، أو سقط بعضهم فى موقف تضحية ... وهى من أكثر العلاقات عمقا فى تاريخ العسكرية العالمية لأنها لحظة نادرة فى عمر الإنسان قد لاتتكرر كثيرا.

ويتعجب الإنسان أن يقف رفاق السلاح هذا الموقف من بعضهم البعض وهم يوجهون السهام القاتلة لصدور بعضهم بعضا ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإذا كان الهدف كشف الحقيقة فما أجمل أن نقول الحقيقة دون تزيد أو ادعاء أو إساءة .. وإذا كان الهدف تبرئة الذمة فإن هذا حق للجميع بشرط ألا يكون ذلك على حساب ذمم الآخرين ..

وإذا كان الهدف تصفية الحسابات فلا ينبغى أبدا أن تكون الحقيقة هى الضحية الأولى فى ذلك .

إن ثورة يوليو ظلمت أسماء كثيرة من أبنائها كما ظلمت كثيرا من أبناء هذا الشعب .. وإذا كانت نيرانها قد أكلت أعدادا كبيرة من المواطنين العاديين الابرياء فإن هذه النيران نفسها قد أكلت كثيرا من رجال هذه الثورة ومن حق الإنسان ان يحزن لما أصابه سواء كان فى موقع السلطة أم بعيدا عنها ولكن بشرط واحد الا يفرط فى قدسية الحقيقة وأمانة التاريخ .

وبقدر ما ظلمت ثورة يوليو البعض وأساءت اليهم .. فقد أنصفت البعض الآخر وأعطتهم فوق مايستحقون ... وما بين الإساءة والإنصاف فإننا لانطلب من هؤلاء وهؤلاء شيئا غير أن يحترموا تاريخ هذا البلد ويصونوا ذاكرته .. فلا يدعون بطولات كاذبة ولايسيئون لرموز مهما اختلفنا عليها فإنها صاحبة دور فى حاضر هذا الوطن .

ووسط هذا كله خرجت تجاوزات كثيرة ... فالرئيس «فلان» كان عميلاً ... والرئيس فلان «أبوه بوسطجى » وهذا نصب على سيدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلسطينية .. وهذا لم يحصل على التوجيهية .. وهذا باع وطنه وتراب أرضه .

أشياء كثيرة يخجل الإنسان من ذكرها أو إعادة ترديدها فى هذه السطور ، والحقيقة أن هذه الرموز الوطنية كانت لها مواقفها وتاريخها الحافل .. فإذا كان والد عبد الناصر «بوسطجياً » كما أشارت مذكرات أحد حراس الرئيس نجيب .. فإن عبد الناصر جزء عزيز من تاريخنا قد نختلف كثيراً مع بعض أحداثه وقد نرى فيها تجاوزات وتجاوزات ، ولكنه سيبقى دائماً علامة بارزة فى تاريخ مصر الحديث .

والرئيس السادات الذى اتهمه أحد ثوار يوليو بأنه «عميل» هو نفسه السادات الذى خاض حرب أكتوبر بشرف وأمانة ومعه قواتنا المسلحة الباسلة .. وهو نفسه الذى استرد الأرض وأعاد الكرامة .

وحتى الرئيس نجيب نفسه كنا دائماً نسعى إلى لحظة صدق ووفاء تعيد للرجل حقه الضائع ودوره المظلوم وأيام سجنه الأليمة ودوره المجهول فى تاريخنا المعاصر .

هؤلاء جميعاً ، نجيب وعبد الناصر والسادات ، جزء عزيز من تاريخ مصر ، ومن كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر.. وهؤلاء قادوا السفينة يوماً وسط رياح قاسية وظروف دولية غاية فى الصعوبة .. وحسب مهارة كل ملاح كانت نتيجة الرحلة كسباً أوخسارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما أن نقف الآن ونوزع الاتهامات بالعمالة والخيانة فهذه ألفاظ لاينبغى أن تدخل قاموس الحقائق التاريخية ويرددها من كانوا يوماً رفاق سلاح بكل ما تعنى الكلمة من أخلاقيات الفرسان.

حينما طلب عبد الناصر مساعدة الروس لم يكن خائناً .. وحينما طردهم السادات لم يكن أيضاً خائناً .. وكلاهما كان يرى الموقف حسب الظروف والتحولات وتوازنات القوى فى العالم .

إننا لا نطالب بتبرئة أحد بدون وجه حق .. ولكننا نطالب أيضاً بألا يظلم أحد دون وجه حق .

وحينما يقف الإنسان على منصة التاريخ يروى أحداثه فيجب أن يدرك أنه يقف فى أقدس رحاب .. لأن التاريخ قادر على كشف المزيف وتعرية الأدعياء وما أكثرهم فى تاريخنا الحديث .

لقد شاركت أقلام كثيرة فى تزييف تاريخنا من بعض أصحاب القرار وأشباه الكتاب ، وسماسرة المواقف وتجار الشنط الصحفية ، وبجانب هؤلاء كانت هناك كتابات شريفة غايتها الحقيقة .. والحقيقة وحدها . ولم يسع هؤلاء إلى بريق زائل أو كسب سريع .. ولكنهم يعتبرون رواية التاريخ أمانة فى أعناقهم أمام الله .. وأمام الوطن .. وأمام الحقيقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولهذا تصبح كتابات وأوراق ومذكرات الذين شاركوا يوماً فى صنع القرار .. منطقة فى غاية الأهمية والخصوصية ويرجع ذلك لأسباب عديدة :

- إن هؤلاء كانوا يوما من أصحاب القرار .. وكانوا أقرب الناس إلى صناعته وصياغته وإصداره ..

ولهذا فإن كلامهم يتمتع بمصداقية خاصة ، ويجب ان نصدقهم حينما يقولون ...

- وبجانب هذا فان هؤلاء الآن يعيشون مراحل من العمر انسحبت فيها الأضواء وخبا البريق ولم يعد أمام الإنسان وهو يمشى إلى رحاب ربه غير أن يقول كلمة صادقة امينة لاينتظر منها جزاء ولاشكورا .

- وقبل هذا كله فإن هناك أجيالا جديدة تقرأ هذا الكلام وهو يشكل مواقفها وأفكارها ويوجه مسيرتها فى المستقبل ... ولأن هؤلاء سيكونون يوما أصحاب القرار فيجب أن نكون أمناء على عقولهم ومكوناتهم الفكرية والثقافية .

ولاينبغى أبدا أن نمتهن الحقيقة ونزيف الأشياء ونحن نكتب لهؤلاء حتى ولو كان ذلك تصفية لحسابات قديمة .

إننى أشفق كثيرا على عقول أبنائنا من كثرة الأوراق التى تراكمت فيها فلم يبق أحد فى مصر لم يكتب مذكراته .. ولم يبق قلم إلا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسطر لنا بطولاته .. ولم تعد هناك ورقة واحدة بيضاء لكى يكتب التاريخ يوما عليها كلمته ويدلنا على حقيقة هذا الكم الهائل من تلال الورق التى غطت كل شىء فى حياتنا ، ابتداء بالماضى ومرورا على الحاضر وانتهاء بالمستقبل .

لقد أزعجنى وأزعج الكثيرين غيرى هذا الكم الكبير من المذكرات التى رواها بعض أصحاب القرار السابقين فى الفترة الأخيرة ... وبعض الحراس .. وبعض الطهاة .. وبعض الأطباء الخصوصيين ... وأكثر ما أزعجنا فيها تلك الاتهامات القاسية وهذا التجريح الضارى الذى وصل أحيانا إلى حد الاتهام بالعمالة لرجال قد نختلف حول أدوارهم ولكننا لاينبغى أن ننكر أبدا دورهم فى تاريخ هذا البلد .

«إن رفاق السلاح يجب أن يحترموا دائما أخلاق الفرسان» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هيكل .. وذاكرة الأمة !

يصعب على الإنسان أن يكون محايداً مع كتابات الأستاذ محمد حسنين هيكل .. فإما أن تأخذ موقعك معه فى خندق واحد .. أو أن تنضم إلى صفوف المعارضين لفكره .. وفى الحالتين سواء كنت مع الأستاذ هيكل أم ضده فلا تملك إلا أن تحمل للرجل تقديراً عميقاً فهو كاتب لا يتعامل مع القشور .. ولا يحب السباحة فى المناطق الآمنة بقرب الشواطىء .. ولايتعامل مثل غيره مع ظواهر الأشياء .. ولهذا كانت كتاباته دائما تحمل قيمة كبيرة عند الناس اختلفوا معه أو اتفقوا عليه .

والأستاذ هيكل لايفرض عليك رأيا مسبقا .. ولكنه قادر على أن يحاصرك بالحجج والبراهين مستخدما كل الوسائل لإقناعك ابتداء بالتاريخ وانتهاء بالشعر .. لكنه فى كل الحالات لا يفصل الظواهر عن أسبابها .. ولا يضع النتائج بلا مقدماتها ..ولا يلقى أحكاما بلا أدلة ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا هو الأستاذ هيكل الذى عرفناه دائما سواء اتفقنا معه أم اختلفنا عليه .

وفى كتابه الأخير «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل» رحلة من الرحلات الشاقة والمجهدة للعقل والوجدان معا ..

إن الرجل يأخذنا معه إلى قضية عمرنا .. قضية الصراع العربى الإسرائيلى وفلسطين والقدس .. وشهداء ٤٨ و٥٦ و٦٧ و٧٣ .. إنها بالنسبة لنا قضية عمر .. ومأساة جيل كان قدره أن يعيش حلما كبيرا .. وأن يواجه الموت حربا .. والألم والإحباط سلاما ..

هذه القضية أخذت نصف عمرنا أحلاما ... وأخذت النصف الآخر أوهاما ، وفى سراديب التاريخ وعلى امتداد قرنين من الزمان تقريبا يستعرض الأستاذ هيكل بداية المأساة ومراحل المحنة الأولى ..

والأستاذ هيكل كاتب سياسى .. ولكنه عاشق من عشاق التاريخ .. وهو من هذا الطراز من الكتاب الكبار الذين يؤمنون بأن الحاضر مجرد حلقة فى سلسلة طويلة تمتد من الأمس إلى الغد ، وانه من الخطأ الجسيم أن نحاول فصل هذه الحلقات عن بعضها البعض ؛ لأن فى ذلك خيانة لذاكرة الأمة واستهتارا بمقوماتها .. فلكى نقرأ الغد يجب أن نكون على وعى كامل بدروس الأمس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أجل هذا يبدأ الأستاذ هيكل رحلتنا معه منذ حملة نابيلون على مصر ، وبداية ظهور الحلم اليهودى فى إقامة وطن .. وكيف كبر هذا الحلم حتى وصل إلى أعتاب القدس العتيقة من خلال منهج واضح ومدروس .. وقدم الأستاذ هيكل رحلة الحلم اليهودى عبر مراحله المختلفة .. كلمات على لسان نابليون .. قصائد شعر عند لورد بيرون .. وخطبة منبرية على لسان لامرتين .. ونظرة تاريخية فى كتابات توماس كلارك .. وبرامج واضحة عند دزرائيلى .. وهرتزل .. ومع هذا كله خريطة الأدوار التى سعت وراء هذا الحلم ومهدت له حتى يصبح حقيقة من السياسيين والمفكريين وأصحاب القرار .. وكيف توافرت لهذا الحلم الدراسة .. والمنهجية .. والإعداد .. والمثابرة ابتداء بتوزيع الأدوار وانتهاء بشراء الذمم .

وينتقل الأستاذ هيكل عبر محطات مختلفة يتوقف عندها حسب ضرورتها وأهميتها فى صياغة الأحداث .. فتقف مع نابليون .. ومحمد على .. وأسماعيل .. والاحتلال الإنجليزى لمصر .. ومعاناة الدولة العثمانية فى أخريات أيامها وتوزيع وليمة العالم العربى على مائدة سايكس بيكو ومشروعات الهجرة اليهودية إلى فلسطين .. ووعد بلفور.. وحرب فلسطين .. وتحقيق الحلم اليهودى فى إقامة وطن قومى لليهود على أرض فلسطين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى هذا السياق يؤكد الأستاذ هيكل أن الفرق بين العرب واليهود أن العالم العربى عبر مراحل تاريخه المختلفة كان يجرى جريا وراء التشرذم والشتات ، وأن اليهود كانوا يجمعون شواردهم من هذا الشتات .

وان إقامة دولة إسرائيل كان زواجا شرعيا فى المنطقة بين مصالح الغرب وإسرائيل فقد استوعب الغرب دروس الماضى تماما وأدرك ضرورة الفصل بين مصر والشام وأن دولة إسرائيل أفضل من يقوم بهذه المهمة ..

وفى هذا السياق التاريخى حرص الأستاذ هيكل على التركيز الشديد على دور مصر ابتداء برأى نابليون واعتقاده بأن مصر أهم دولة فى العالم مروراً على محمد على ومشروعه الذى لم يتم .. وأن الأحداث دائما كانت تؤكد أن مصر هى مفتاح المنطقة بكل ما يعنيه ذلك من الأعباء والمسئوليات والدور .. وليس هذا تفاخراً بقدر ما هو مسئولية .

ويستعرض الأستاذ هيكل رحلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين وكيف تدرجت من بضعة آلاف إلى أن وصلت للملايين .. وكيف رسخت وجودها وأكدت دورها ابتداء بشراء حصة الخديوى إسماعيل فى قناة السويس وانتهاء بدور العائلات اليهودية فى الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فى مصر فى النصف الأول من هذا القرن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت الذى استفادت فيه إسرائيل من دروسها مع التاريخ فى صياغة الحلم والوصول به إلى منطقة الواقع ، فإن العالم العربى كان ومازال لديه قدرة عجيبة على تكرار أخطائه وتضييع الفرص .

ومن التاريخ نصل إلى عدة قناعات يضعها أمامنا الأستاذ هيكل :

- ان وجود إسرائيل فى قلب العالم العربى هدف غربى قديم .. قد يكون هذا الهدف قد تزامن مع الحلم اليهودى ، ولكنه يرتبط فى الأساس بإستراتيجية غربية واعية بضرورة الفصل بين مصر والشام وباقى البلدان العربية .. وأن الغرب استوعب هذا الدرس جيداً ولن يقبل تكراره كما حدث مع صلاح الدين .. ومحمد على .. وجمال عبدالناصر.

- إن الغرب منذ البداية تحمل مسئولية حماية إسرائيل ، وليس ذلك حبا فى اليهود أو تعاطفا معهم ولكن لارتباط شديد فى المصالح والأهداف فى المنطقة يتساوى فى ذلك موقف الغرب من عشرات السنين وموقفه الآن ..

- فى الوقت الذى كسبت فيه إسرائيل الكثير .. كانت معظم الخسائر على العرب .. وذلك يرجع فى الأساس للفروق الشاسعة فى طريقة التفكير والتعامل مع الأحداث والقدرة على مواجهة المواقف والوعى بحقائق التاريخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولأن للأستاذ هيكل موقفه الواضح من عملية السلام فهو لا يعول على نتائجها كثيرا تلك التى تصور البعض أنها نهاية المطاف .

لقد قدم الأستاذ هيكل بانوراما واسعة فى السياسة والتاريخ والتعامل مع الأحداث ، وكان راصداً أمينا لحركة التاريخ وصورة الواقع دون أن يفرض علينا رأيا أو وصاية .. لقد قدم الرجل ما عنده وتركنا نحدد مواقفنا حسب ما تمليه علينا ضمائرنا والتزاماتنا الوطنية والقومية..

ولم يترك الأستاذ هيكل تساؤلا مطروحا إلا وحاول الإجابة عنه بالرأى والتحليل والوثيقة .. وكان حاسما فى الدفاع عن وجهة نظره وموقفه من قضية السلام مع إسرائيل ، وليس ذلك عن رفض لفكرة السلام فى حد ذاتها ولكنه رفض لهذا السلام الذى يحاول أن يتجاهل كل الحقائق التاريخية والسياسية والإنسانية التى احتواها الصراع العربى الإسرائيلى طوال قرنين من الزمان ، والتى قدمها الأستاذ هيكل بكل الأمانة والموضوعية .

إن كتاب الأستاذ هيكل - وهو أخطر ما كتب - يمثل رحلة واعية مع دروس الماضى .. ووقفة صارمة مع الحاضر.. واستكشافا أمينا للغد.. وهو فى كل الحالات موقف يحسب للرجل فى وقت تداخلت فيه المواقف واختلطت الأدوار واختلت مقاييس الأشياء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد كان هدف الأستاذ هيكل فى تأصيله لمأساة الصراع العربى الإسرائيلى ألا تفقد الأمة ذاكرتها الواعية وألا تسقط فريسة لهذا الواقع العربى المخيف .

وبهذا الكتاب يضيف الأستاذ هيكل إلى رصيده إنجازا جديداً حافلاً .. ويضيف للمكتبة العربية سجلا عميقا وجاداً لقصة الصراع العربى الإسرائيلى .. وقبل هذا كله فإن الرجل يلقى بطوق نجاة لأجيال جديدة من حقها أن تعرف الحقيقة وسط هذا الطوفان .

وتأتى خطورة هذا الكتاب من أنه يجىء فى فترة عصيبة تشهد فيها المنطقة العربية محاولات ضارية لتغييب عقل الأمة وتشويه ذاكرتها .. وقد حاول الأستاذ هيكل فى كتابه أن يتصدى لذلك كله بضمير الإنسان ومسئولية الكاتب وأمانة الموقف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نزار قبانى وأحزان الشعراء

لم أكن أتصور أن يأتى علينا زمان نفقأ فيه عيوننا بأيدينا .. ونغتال بلابلنا رغم أنها آخر ما بقى على أشجارنا الحزينة فى الزمن البخيل . وأن نطلق السهام على صدور عشقت أوطانها حتى الثمالة .. وعاشت جراحها جرحا جرحا .. وحملت أمانيها أملا أملا .. وغنت للعشق أجمل أغانيه .. وغنت للوطن حين كان جديرا بالغناء .. وبكت على أطلاله حينما عصفت به رياح اليأس والفرقة .

لم أكن أتصور أن تنهال كل هذه السهام على صدر شاعرنا الكبير نزار قبانى وهو يعيش خريف عمره بعيدا عن وطنه الجريح .. وهو الذى لم يحمل فى حقائب سفره وهو يودع هذا الوطن منذ سنوات بعيدة غير صورة زوجته ورفيقة رحلته وهو يقف حزينا ينتظر خروج جثتها من تحت أنقاض أطلال بيروت الجريحة ..

وبقى جثمان الزوجة القتيلة فى خيال الشاعر المطارد من كل شىء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقبلها كفن نزار قبانى وحيده طالب الطب بين ضلوعه فى جنازة حزن صامت ..

وبعدها انهارت أحلام كثيرة فى رحلة الشاعر مع نفسه .. ووطنه وأمته ..

وامتدت رحلة الجراح لتشمل البيت .. والوطن .. والأمة ..

بيت حزين بعد فراق أهله ..

ووطن مكسور ومهزوم بأيدى أبنائه ..

وأمة تبحث عن مخلص .. ولا تجد الخلاص .

ماذا ننتظر من الشاعر وسط هذه الأطلال .. وبين كل هذه الخرائب .. هل ننتظر منه أن يكون من حملة المباخر .. والمغنين فى حضرة السلاطين ؟ أم ننتظر منه أن يكون بوقا من أبواق الزيف والدجل الرخيص .. ام ننتظر منه أن يقف على كل باب يوما يمجد هذا ويمدح ذاك .. ؟

لم يكن نزار قبانى يوما من حملة المباخر .. ولم يقف أبدا على أعتاب السلاطين .

فهل كان ذنب الرجل أنه وضع أصبعه فى جرح أهملته الشعوب حتى أصابه العفن وملأت روائحه الكريهة كل مكان ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أم أن ذنب نزار قبانى أنه صاح بأعلى صوته والسفينة تغرق قائلا: إن الموت يطاردنا ..

أم أن ذنب نزار قبانى أنه حاول أن يطارد أزمنة القبح العربى ابتداء بصناعة القرار وانتهاء بمزادات الأفكار ..

لقد كنت حزينا وأنا أتابع هذه الحملة الشرسة ضد نزار قبانى الشاعر والإنسان ..

ومازلت أذكر سنوات شبابنا الأولى حينما كانت قصائد نزار قبانى تحلق فى خيالنا ونعيش معها أجمل سنوات العمر ..

عشنا مع قصائد نزار قبانى سنوات عشقنا الأولى .. وعشنا معه سنوات أحلامنا الأولى .. ثم عشنا معه انكساراتنا الأولى ..

فماذا تغير فى نزار الآن حتى تشتعل الدنيا حوله وهو يعيش خريف عمره ..

ما الذى تغير فى مواقف نزار قبانى حتى نعلن الحرب عليه ..

إذا كان رافضا لأزمنة القبح العربى الآن .. فقد ظل عمره كله رافضا لهذا القبح .

إذا كان مكسورا فى أحلامه .. فمن منا لم تنكسر أحلامه أمام هذا الواقع العربى الكئيب ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا كان حزينا لما وصل إليه حال أمة العرب .. فمن منا لم يدمن أحزانه حتى الثمالة ..

إن نزار قبانى لم يكن فقط صادقا مع نفسه وهو يكتب آخر مراثيه لهذه الأمة ، ولكنه كان صادقا معنا أيضا ..

ما الذى أغضبنا فى شعر نزار ..

هل لأنه قال : متى يعلنون وفاة العرب .. ومن منا لم يشيع الجنازة .. ويبكى بكاء مرا على روح الفقيد .

هل لأنه قال : إن العرب يترنحون أمام ضربات زمان لا يرحم ..

فوالله إنهم يترنحون وما هم بسكارى .. ولكن عذاب الواقع المر أكثر من شديد ..

هل لأن نزار قبانى ينعى للعالم العربى أزمنة حلمنا فيها بوحدة القرار والمصير والإرادة .. إننا جميعا نعلم أنها أطلال شعارات براقة .. ماتت ومات معها حلم كبير ..

والأغرب من هذا كله أن يقول البعض أن نزار قبانى ليس شاعرا.. ولم أكن أتصور أن للشعر صكا يجب أن يحصل عليه الشاعر حتى ولو تجاوز عمره السبعين ، منها خمسون عاما مع الشعر ..

إذا كان فى أمة العرب إنسان ولد لكى يكون شاعرا فهو نزار قبانى ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل إن نزار قبانى أحد مفاخر هذه الأمة فى زمن لم يعد لدينا ما نفخر به .

من حقنا أن نختلف مع نزار قبانى وأن نرفض مواقفه ولكن ليس من حق أحد أن يسلب منه شاعريته وقيمته ودوره ..

لقد عرفت نزار قبانى شاعرا وصديقا ..

عرفته شاعرا وأحببت شعره .. واتفقت معه أحيانا .. واختلفت معه أحيانا .. ولكنه بقى عندى حديقة واسعة من الأشجار الشامخة التى أسعدتنا زمنا بربيعها وظلالها وثمارها .. وأغنيات الخريف فيها .

وعرفت نزار قبانى صديقا مازال - وقد تجاوز السبعين من العمر- فيه براءة الأطفال وشقاوتهم .. وحكمة الكبار وكثير من جنونهم ..

وهو فى كل حالاته الإنسان الذى خلق لكى يكون شاعرا .

لقد كنت حزينا أن تتجه كل هذه السهام الطائشة إلى قلب نزار قبانى .. ولكن هذه السهام تعكس حالة التردى والانهيار التى وصلت إليها أحوال الثقافة العربية .

إن المثقفين العرب تركوا معاركهم الحقيقية منذ زمان بعيد وأجادوا لعبة التصفيات .. فكانت هناك التصفيات الجسدية . والتصفيات المعنوية .. وأخيرا كانت تصفيات الشعراء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا تسألوا الشاعر لماذا كتب هذه القصيدة فالشاعر الحقيقى لا يكتب بقلمه .. ولكنه يكتب بدمه .

ولا تسألوا البلبل الحزين لماذا تبكى على أطلال عشك الذى كان يوما جميلا .. لأن البلابل لا تحب القبح وترفض أن تعيش فيه ..ولا تسألوا أشجار النخيل لماذا أصبح تمرها مرا .. واسألوا الزمن الذى جعل التمر مرا ..

ومصر هى التى احتضنت شعر نزار قبانى .. وهى التى حملته فى عينها فى صوت أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم حافظ ونجاة الصغيرة .

إن نزار قبانى نخلة عريقة عاشت على ضفاف نيلنا العظيم ، ونحن شعب لا يفرط فى نيله ونخيله وبلابله .

ومصر هى التى احتضنت مع نزار قبانى كل شعراء العربية الكبار وكان هذا ومازال قدرها ودورها ومسئوليتها ..

عاش فيها مطران شاعر القطرين ..

وعاش فيها إيليا أبو ماضى .. شاعر لبنان الكبير ..

ونشأ فيها محمد الفيتورى شاعر السودان الشقيق ..

وانطلق منها أبو القاسم الشابى شاعر تونس المتألق ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعاش فيها البياتى شاعر العراق أطول سنوات منفاه ..

فإذا كان نزار قبانى حزينا على حال أمته .. فكلنا حزانى ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قراءة ساذجة للتاريخ ! !

من الممكن أن يختلف المؤرخون وعشاق التاريخ فى تفسير أحداثه وإعادة قراءة سطوره .. ولكن ليس من حق أحد تزييف ذاكرة الأمة والاستخفاف بماضيها . وليس من المعقول فى زحمة التغييب التى نشهدها الآن أن يصبح المستعمر رسول حضارة وأن يصير المحتل مشعل ثقافة ، ويصير الغزاة أبطالا على صفحات تاريخنا العريق .

أقول ذلك بمناسبة اختيار حملة نابليون على مصر لتكون مناسبة للاحتفاء بالعلاقات الثقافية والفكرية بين مصر وفرنسا ، وذلك على أساس أن حملة نابليون كانت حملة حضارية ..

ويحاول هذا الرأى الساذج والمغالط استبدال وجه نابليون العسكرى وأهداف حملته التوسعية لإقامة امبراطورية فى الشرق إلى وجه ثقافى فكرى تمثل فى المطبعة التى حملها والاكتشافات الأثرية التى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قام بها علماء الحملة الفرنسية وخاصة كتاب وصف مصر واكتشاف حجر رشيد .

ولاشك أن نابليون قائد عسكرى عظيم .. وهو من رموز فرنسا التاريخية التى يعتز بها الشعب الفرنسى .. ولكن موقع نابليون فى تاريخ فرنسا شىء .. وموقعه فى تاريخ مصر شىء آخر ..

لقد جاء نابليون إلى مصر غازيا .. ولم يكن حاملا لمشاعل فكر وثقافة وحضارة كما يحاول البعض أن يغالط حقائق التاريخ ..

لم تكن حملة نابليون تحمل بين بوارجها وأساطيلها رغبة فى تحرير الشعب المصرى وتنويره .. بل كان هدفها احتلال مصر ضمن مخطط عالمى واسع وصراع كبير بين فرنسا وإنجلترا لبسط الهيمنة الغربية على الشرق وتوزيع الغنيمة بين القوى العظمى فى ذلك الوقت .

هذا هو الهدف من الحملة الفرنسية كما درسناه يوما فى حصص التاريخ ونحن صغار .. فهل أصبح من المطلوب الآن أن يتحول نابليون بقدرة قادر إلى رمز من رموز الحضارة والمعرفة فى تاريخ مصر .. وإذا كان ذلك شيئا مطلوبا الآن مع نابليون فماذا سنفعل مع محمد كريم بطل المقاومة الشعبية فى الإسكندرية الذى قتله الفرنسيون رميا بالرصاص.. وماذا عن المعارك التى دارت فى الإسكندرية .. وشبراخيت .. والأهرامات .. وصعيد مصر .. وماذا عن المواجهة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاريخية بين القائد الإنجليزى نلسون ونابليون فى أبى قير .. هذه الأحداث جميعها لم تكن أحداثا ثقافية وفكرية ولكنها تدخل فى التاريخ العسكرى والسياسى ولا علاقة لها بالتاريخ الثقافى والفكرى الذى يحاول البعض الآن فرضه علينا حتى يتحول نابليون إلى منارة ثقافية فى تاريخ مصر .

إن أحداث التاريخ تؤكد أن نابليون جاء إلى مصر غازيا وأن حملته كانت تهدف احتلال مصر وأنها فتحت عيون إنجلترا منذ هذا التاريخ على أهمية مصر حتى احتلتها فى عام ١٨٨٢ ..

ولاشك أن هذا خطأ فى تفسير أحداث التاريخ ، بل هى محاولة لتزييف حقائقة الثابتة .

ولو أننا أخذنا بهذا السياق الجديد فى إعادة تفسير التاريخ فسوف يلقى بنا ذلك فى متاهات كثيرة ، وهناك أشخاص بيننا الآن جاهزون ومستعدون للقيام بهذه المهمة ..

يمكن أن نحتفل بذكرى احتلال إنجلترا لمصر على أساس أن الإخوة الإنجليز احتلوا مصر سبعين عاما لكى يتعلم بعض أبناء مصر اللغة الإنجليزية ونلغى أسماء عرابى والبارودى والنديم من صفحات تاريخنا الحديث ..